

٤١
www.Rewity.com
قلوب أحلام
نوفيلا
My hands
هي تلك المتمردة التي اقتحمت عالمه المنمق بلا سابق إنذار...
أراد أن يسلب منها كامل حياتها، فسلبت رغماً عنه كل مشاعره..
رفضت أن تخضع له طوعاً،، فأجبرها على أن تعيش معه قسراً!
فهل هو الجحيم بالنسبة لها؟ أم هي الجنة التي طالما نشدها؟!
بلى.. هي سيدرا!
الجزء الأول من سلسلة سنابل الحب
سيدرا
الكاتبة: منال سالم
I DON'T BELONG HERE
I gotta move on dear escape from this afterlife
'Cause this time I'm right to move on and on, far away from here
You're just a
Mannequin
by Omima Hisham

الفصل الأول



في تلك الضيعة الجميلة ، وفوق تلك المروج الخضراء والغناء ، ركضت طفلة صغيرة تحمل في يدها دلواً مليئاً بالماء .. وما إن رآها ذلك الرجل الكهل والعجوز حتى توجه نحوها بخطى بطيئة ، وحمل عنها دلو الماء ، ووضعه أرضاً ، ثم انحنى ليقبل تلك الصغيرة الحسناء من رأسها ..

صاحت سيدة ما وقورة وطاعنة في السن بصوت جهوري ، فالتفتت الصغيرة برأسهاعلى إثر صوتها وهي تبتسم و..

-سيلين مبتسمة : ما الأمر يا جدتي

-الجدة مريام: كفاك لهواً يا صغيرة ، وإذهبي لأختك سريعاً

-سيلين متذمرة: أنا لا ألهو جدتي ! وسيدرا مازالت نائمة بالمنزل

-الجدة مرياموهي ترفع أحد حاجبيها بضيق : يالها من كسولة !

-الجد حمدان مبتسماً وبصوت حاني :

اتركيها يا مريام فهي قد أخذت أجازتها للتو
-الجدة مريام بتبرم : تعلم عزيزي حمدان أن لدينا الكثير من الأعمال ، ونحن بحاجة للعون
-سيلين وهي تمسك بعباءة جدتها : انا موجودة جدتي ويمكنني أن أساعدك
-الجدة مريام وهي تمسح على وجنتها: أنتِ مازلتِ صغيرة ، وتلك الأعمال شاقة عليكِ حبيبتي
نظرت سيلين إلى الجدة مريام بأعين مغتاظة ، وحاولت أن تثب عدة مرات أمامها و..
-سيلين وهي تحاول الوثب : جدتي ! أنا كبيرة ، انظري إلى طولي
تبسمت الجدة ضاحكة ، ومالت على الصغيرة سيلين وأحاطتها بكلا ذراعيها لتحتضنها وتضمها أكثر إليها ..
-الجدة مريام بخفوت : أعلم أنكِ صرت كبيرة ، ولكن نحتاج لمساعدة سيدرا.

....
جاءت سيدة ما في منتصف الأربعينات من عمرها تمشي رويداً وهي تحمل سلة للطعام بإحدى يديها ، وترفع اليد الأخرى على جبينها لكيتحجب أشعة الشمس عن عينيها الخضراوتين ..
تلك السيدة هي ريحانة ، هي أرملة ولديها ابنتين ، إحداهما تدعى سيدرا وهي فتاة ذات ثمان عشر ربيعاً ، والأخرى هي سيلين ، وهي طفلة صغيرة في العاشرة من عمرها
توفي زوج السيدة ريحانة –أحمد- قبل عدة سنوات ، فرفضت أن تتزوج بعده مجدداً ، وانتقلت للعيش مع والديها في المزرعة الصغيرة التي يمتلكاها بأحد الضياع الريفية ..
كانت ريحانة دائماً ما تنشد الأفضل لابنتيها ، وكافحت من أجل أن تنالا الأفضل في كل شيء

عاونها والداها حمدان ومريام في تربية الفتاتين .. ورغم تقدم الكثيرون من أهل الضيعة بعروض زواج لريحانة ، إلا أنها رفضت أن تتزوج من جديد ، وأثرت أن تظل وفية لزوجها الراحل أحمد وتكتفي برعاية طفلتيها ...

....

نظرت ريحانة أمامها فوجدت كلا أبويها يعملان في المزرعة التي يمتلكونها منذ عقود ، ابتسمت لهما في سعادة ، ثم صاحت ب....

-ريحانة بصوت مرتفع: أبي ، أمي ، سيلين ، لقد جئت بالطعام ، هيا قبل أن يبرد

-الجد حمدان وهو ينظر إليها : لحظات وسأنتهي

افترشت السيدة ريحانة الأرض ، وبدأت في إفراغ محتويات السلة على الأرض بجوارها ... سال لعاب الصغيرة سيلين حينما رأت المأكولات الطيبة التي تجيد والدتها إعدادها ، فركضت ناحية والدتها و...

-سيلين وهي تتجه لوالدتها : انا جائعة أمي

-ريحانة وهي تشير بيدها : اجلسي صغيرتي ، هيا تناولي طعامك ولا تتركيه كما تفعلين عادة ..!

-سيلين وهي تومىء برأسها : حاضر يا أمي

وقف الجد حمدان ينظر إلى ابنته وحفيدته بأعين حانية ، ثم رفع يده على جبينه ليجفف عرقه المتصبب ، ثم نظر امامه وشرد لبرهة إستعاد فيها ذكريات قد مضت....

....

إمتلك الجد حمدان تلك المزرعة العتيقة والتي ورثها عن أجداده ، وحينما انتقلت ابنته ريحانة للعيش معه من جديد ، تكفل هو برعايتها هي وابنتيها رغم الضائقة المالية التي كان يمر بها ....

ظل الجد حمدان وزوجته مريام يوليان ريحانة وطفلتيها الرعاية الكافية إلى أن تثاقلت الديون على كاهله ، فإضطر لرهن المزرعة – دون أن يخبر أي أحد بهذا – لكي ينفق على العائلة.
رهن الجد حمدان المزرعة إلى رجل ثري يعيش هو الأخر في تلك الضيعة ، واتفق كلاهما على سداد الرهن على أقساط سنوية ..
عمل الجد حمدان جاهداً من أجل سداد الدين ولكن للأسف لم يستطع إلا أن يسدد جزءاً بسيطاً منه، وتغاضى مالك الدين عن الباقي ومنح الجد حمدان الفرصة لكي يسدد الباقي فور توافر أي أموال معه ، ولم يقاضيه لعجزه عن السداد ، واتفق معه على أن يسدد الدين من خلال رعايته لجميع ممتلكاته أثناء غيابه عن الضيعة ، فالتزم الجد بهذا ، وبذل جهداً مضنياً في الحفاظ

على كل ما يخصه وكأنها أملاكه التي ورثها أباً عن جد دون أن يتقاضى أي أجر حتى تناسا كلاهما مسألة الدين تماماً .....

....

نظرت ريحانة إلى والدها المتعب فوجدته شارد الذهن ، فنادت عليه من جديد و..
-ريحانة بصوت مرتفع نسبياً : أبي !
انتبه الجد حمدان إلى ريحانة ، فعاد من شروده وابتسم ابتسامة صافية و..
-الجد حمدان مبتسماً وبنبرة مرهقة : أنا قادم يا بنيتي

....

في منزل عتيق مبني من خشب الزان الأحمر ، وقف ذاك العصفور على تلك النافذة الشبه مغلقة ليغرد قليلاً ..
وفي داخل الغرفة ظلت فتاة ما في عنفوان شبابها تتململ في الفراش يميناً ويساراً محاولة تغطية أذنيها بالوسادة ..

حاولت الفتاة أن تسد آذنيها عن صوت تلك الزقزقة ولكنها فشلت ، وفي النهاية اضطرت إلى أن تنهض عن الفراش وهي تزفر في ضيق ..
توجهت الفتاة الجميلة إلى النافذة ، ثم نظرت إلى العصفور بعينيها الزرقاوتين بحنق و..
-سيدرا بضيق ووجه عابس : يالك من عصفور أحمق ! أريد أن أنام وأنت تمنعني عن هذا ، ماذا أفعل بك ؟؟؟
حلق العصفور بعيداً ، فإزاد حنق سيدرا و..
-سيدرا بنبرة حانقة : الآن قد طرت .. بعد أن أيقظتني ، أووف !

....

سيدرا .. هي تلك الجميلة النحيلة ذات الثمان عشر عاماً والجسد المتناسق و الممشوق ، إنها الابنة البكر لريحانة ، هي تشبه والدتها في جمالها الطبيعي غير المتكلف ، تملك عينان زرقاوتان ترى أمواج البحر من خلالهما .. أما بشرتها في بيضاء ناعمة ، وشعرها كستنائي حريري متمرد ومموج يتخلله خصلات ذات لون بني ..
اجتهدت سيدرا في دراستها ، وبالفعل أتمت تعليمها ما قبل الجامعي ، وكانت تطمح في أن تلتحق بالجامعة وخاصة دراسة الحقوق مع بداية فصل الخريف ..
في أوقات فراغها عمدت هي إلى مساعدة جديها ووالدتها في العمل بالمزرعة ..
كانت سيدرا محبوبة من أهالي الضيعة البسطاء ، وتحب فعل الخيرات ومساعدة الفقراء ..

....

توجهت سيدرا إلى المرآة ، وتأملت هيئتها الغير مهندمة ، وشعرها المتناثر ، وعينيها الناعستين ، ثم تثاءبت قليلاً وهي تتحرك ناحية كومة مطوية من المناشف القطنية،

ثم مدت يدها وسحبت منشفتها وتوجهت إلى المرحـاض لتغتسل ..
وما إن انتهت من الاغتسال حتى ارتدت ثيابها التي تفضلها ..
ارتدت سيدرا فستانها الأرجواني ، ثم عدلت من هيئته عليها ، وأمسكت بشريطيه المنسدلين بيديها ، ثم أدارتهما للخلف لكي تعقصهما على هيئة أنشوطة ، فأبرزت جمـال خصرها ، ورشاقة جسدهـا ...
تركت سيدرا شعرها ينسدل كأمواج البحر الهائجة على ظهرها بعد أن مشطته ، ثم ارتدت صندلها ودلفت خارج غرفتها لتنزل على الدرج مسرعة وتتجه إلى باب المنزل ، ثم فتحه ودلفت للخارج .. وقفت سيدرا للحظة مغمضة العينين تستنشق عبير الصباح المنعش ، ثم زفـرته في ارتياح وانطلقت راكضة في طريقها ..
....

في سيارة دفع رباعي سوداء مفتوح سقفها ، جلس شابان يضحكان سوياً في مـرح .. قاد أحدهمـا السيارة بعبث (وهو يرتدي قميصاً أزرق اللون وبنطالاً من اللون البيـج)، بينما أراح الثاني ظهره للخلف وأغمض عينيه ليستنشق تلك النسمات المنعشة التي تضرب وجنتيه ..
كان الشخص الأخـر يرتدي قميصاً أبيضاً مخططاً من جانبه بخطوط سوداء رفيعة، ومن الأسفل ارتدى بنطالاً من الجينز ذو لون أسود.
نظر هيثم إلى صديقه سليم المغمض لعينيه باستغراب و..
-هيثم بدهشة : ما بك ؟
فتح سليم عينيه ، ثم أمـال رأسه قليلاً ناحيته و..
-سليم : لا شيء
تأمل سليم هذه الطبيعة الساحرة بعينيه الرماديتين ، وشـرد في ذكرياتٍ بعيدة

إنه سليم خالد المحامي المرموق ، ابن رجل الأعمال المعروف خالد الريان ، ورث عن أبيه الجسد الرياضي القوي ، وعن والدته كوثر الشخصية العنيدة المتشبثة برأيها ..
كان حلم الفتيات القريب البعيد .. يغدو بينهن بإحترافية ، ويخطف قلوبهن بنظراته الواثقة ، ثم ينسحب فجـأة من حياتهن تاركاً إياهن يتخبطن من الحيرة والعذاب ..
ورغم كل هذا كان ناجحاً في عمله ...
يمتلك سليم عينان رماديتان ثاقبتان ، وبشرة بيضاء قاسية ، وشعراً أسوداً حريراً قصيراً ، وهو عريض المنكبين ، مفتول العضلات .. كما ترك لحيته تنبت قليلاً لتجعل من ملامحه الوسيمة أكثر قسوة وخشونة
ترعرع منذ صغره في كنف والدته كوثر التي أحبها حباً جماً ، وكان بين الفنية والأخرى يأتي مع والده لقضاء العطلات بتلك الضيعة البعيدة بدون والدته التي كانت تمقتها ..
لطالما رأى والدته كوثر تتشاجر مع والده خالد بشأن تلك الضيعة ، فقد كان دائما السفر إليها ، فظنت هي أنه على علاقة غير شرعية بإحدى الفلاحات هناك ، وإزدادت شكوكها وغيرتها بمرور الأيام .. إلى أن حسم خالد أمره بالانفصال عنها بعد أن صارت الحياة بينهما مستحيلة ، وخاصة حينما أكتشف أمر خيانتها له مع أقرب الناس إليه ، ولكنه لم يرد فضحها ، واكتفى بالانفصال في صمت عنها جاعلاً ابنه يظن أنه هو المخطيء في حق والدته ...
انفصلت كوثرعن والد ابنها الوحيد وهو في بداية سن المراهقة ، ثم تزوجت هي من جديد .. فاضطر أسفاً أن يعيش مع والده الذي كان دائم السفر لتلك الضيعة التي بغضها لأنها كانت سبب انفصال أبويه ، وانهيار

حياته ، فكره جميع من فيها وحمل أهلها الذنب ، وكان لا يأتي لزيارتها إلا نادراً ... في الآونة الأخيرة مرض والده ، وأوصاه بمتابعة أعماله في الضيعة ، ولكن عقد سليم العزم على إنهاء كل صلة تربطه بتلك المنطقة التي يمقتها ..

اتفق سليم مع إحدى الشركات العقارية على بيع كافة الأراضي التي يملكها في الضيعة بعد إحصائها من أجل استثمارها في تنفيذ مشروع سياحي ترفيهي على أراضيها الخصبة وها قد جاء في زيارة قصيرة إلى تلك الضيعة آملاً أن ينتهي من كل شيء في أقرب وقت ...

أفاق سليم من شروده على صوت هيثم ، و....

-هيثم متسائلاً في حيرة : هل اشتقت لهذا المكان ؟

-سليم وهو يدير رأسه بفتور: ليس تماماً

-هيثم وهو يضيق نظراته : إذن هل جئت لتقضي الصيفية هنا ؟

-سليم بحدة : لا ، بل لأنهي بعض الأعمال العالقة هنا

-هيثم متسائلاً بنظرات متوجسة ، ونبرة مرتبكة : وماذا عن عمي خالد ؟

أخذ سليم نفساً مطولاً قبل أن يزفره ببطء ويتحدث بـ ...

-سليم بصوت يحمل نبرة الحزن والآسى : أبي ! إنه مريض ولن يتمكن من العودة إلى هنا مجدداً ، أنت تعلم حالته الصحية لم تعد على ما يرام ، وهذا الأمر قد بات مزعجاً ..

-هيثم بنبرة شبه جادة : كنت أعتقد انه يريد أن يقضي بعض الوقت هنا

-سليم بتنهيدة منزعجة : لم يعد بإمكانه تحمل مشاق السفر ، لقد كبر هذا العجوز

-هيثم ضاحكاً : إنه مازال متمتعاً بحيوية الشباب ، أنت فقط من تجعله يبدو كهلاً

-سليم محذراً وهو يشير بيده : انتبه للطريق

فأنت تقود بلا مبالاة
-هيثم متحدياً: أتريد أن ترى مهاراتي في القيادة ؟
-سليم بنبرة ساخرة ، ونظرات ساخطة : لا تتحاذق ، أنت يمكنك فقط قيادة جرار زراعي
-هيثم بنظرات واثقة: إذن تمسك جيداً ، ولا تبكي حينما ترى قدراتي الفائقة
-سليم وقد قبل بالتحدي بنبرة جادة : أريني ماذا تخبيء
....
في تلك الأثناء كانت سيدرا تركض مسرعة على الطريق و تحاول أن تصل قبل الظهيرة إلى أطراف المزرعة حيث تجتمع عائلتها
-سيدرا متذمرة: أحتاج إلى أن أمتلك دراجة تخصني أنا ، حتى لا أركض كالمعتوهة على الطريق

لمحت سيدرا وجود تجمع للمياه في بركة ضحلة على الطريق ، فنظرت إليها بضجر وحنق ، ثم وقفت تفكر لوهلة في كيفية التصرف ، وفي النهاية وصلت إلى حل سريع أمسكت سيدرا بذيل فستانها وحاولت رفعه قليلاً عن الأرض كي لا يبتل وهي تسير بخطوات حذرة عبر تلك البركة ..
-سيدرا بضيق : يا الله ! كم كان ينقصني تلك المياه !
....
قاد هيثم السيارة بسرعة فائقة ورهيبة جداً ، ولم ينتبه لبركة المياه أو حتى للفتاة التي تسير عبرها ..
لمح سليم وجود فتاة ما تسير بمحاذاة البركة فحاول تنبيهه ، ولكنه لم ينصاع له ،وصمم على زيادة السرعة أكثر وأكثر .
-سليم محذراً بجدية ، وبملامح وجه قلقة : احـترس ! هناك فتاة ما !

-هيثم وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية : إنها مجرد فلاحة بلهاء ، لنمرح معها قليلاً.
صمت سليم للحظات يفكر فيما قاله هيثم ، وبدأ صدى عبارته الأخيرة تتردد في ثنايا عقله و....
-سليم في نفسه بنظرات قاتمة : فلاحة بلهاء كتلك التي تسببت في تدمير حياة أمي وأبي .. اذن هي تستحق ما سيحدث لها ..
-هيثم مبتسماً: تمسك جيداً يا عزيزي ، وأدخل رأسك حتى لا تبتل !
وبالفعل ضغط هيثم على دواسة البنزين بقوة ليزيد من سرعة السيارة ، وأقترب من سيدرا كثيراً ..
سمعت سيدرا صوت محرك سيارة مسرعة يأتي من خلفها ، فإستدارت بـ رأسها ناحية الصوت ، وتفاجئت بالسيارة المسرعة القادمة في اتجاهها ..

شهقت سيدرا في فزع ، وارتسم على وجهها علامات الرعب الشديدة الممزوجة بالخوف ، ثم أشارت بيدها لقائد السيارة لكي يتوقف ، ولكنه كان يضحك عالياً وغير عابيء بها على الإطلاق ...
لقد بات الوقت متأخـــراً لسيدرا لكي تتفاداه وتبتعد عن البركة المليئة بالمياه الضحلة ، وتنجو بنفسها منه ، لقد أصبح الاصطدام وشيكاً بها لا محـــالة

انتهى الفصل
روايات قصيرة تصدر حصريا عن قلوب أحلام
منتديات روايتي الثقافية

الفصل الثاني



مر هيثم بسيارته المسرعة بالبركة فتناثرت المياه بشدة على سيدرا التي صرخت في فزع مخيف، وغطت وجهها بكلتا يديها لتحميه ، ولكن أغرقت كامل ثيابها بالمياه ..

تعالت ضحكات هيثم على هيئة الفتاة ، وشاركه سليم الابتسام رغم قسوة الموقف .. ظن سليم أنه قد شفي غليله ولو قليلاً بما حدث ..

اغتاظت سيدرا مما صار معها ، فبدأت بالصراخ العنيف المصحوب بالسباب واللعنات عالياً ...

انزعج هيثم من ردة فعل سيدرا ، وكذلك كان حال سليم ..

-هيثم بضيق: يالها من فلاحة سليطة اللسان

-سليم بتهكم: إنها تحتاج لتربية من جديد

-هيثم على مضض : صدقت !

-سليم متوعداً وبنظرات قاسية : ما رأيك أن

نلقنها درساً لا تنساه
-هيثم متسائلاً في ترقب : ماذا ستفعل ؟
-سليم بنبرة متوعدة ، ونظرات قاتمة :
انتظر ، وسترى !
-هيثم وهو يمط شفتيه: مممم....
-سليم بنبرة آمـرة وهو يشير بيده : بدل مقعدك معي ، فأنا أريد أن ألقنها هذا الدرس القاسي
بالفعل نهض هيثم من خلف المقود ، وبدل مقعده مع سليم الذي أمسك بعجلة القيادة ، وبدأ ينظر لسيدرا بنظرات مليئة بالانتقـام فقد نجحت هذه الفتاة في إفقاده صوابه ..
وقفت سيدرا تنفض نفسها ، وتحاول إزاحة المياه العالقة بشعرها وبفستانها الأرجواني ، ولكن هيهات .. فقد صارت هيئتها رثة ومزرية للغاية ..
ضغط سليم بقسوة على دواسة البنزين ، ثم أدار المقود للجهة العكسية فدارت السيارة

بمهارة للجهة الخلفية ، ثم التف بها ليصير مواجهاً لـ سيدرا ..
انتبهت سيدرا لحركة السيارة المفاجئة ، وصوت زئير محركها العالي والمزعج ، فارتعدت أوصالها حينما رأت السيارة في مواجهتها - ولكن على بعد منها ، وإنتفض قلبها رعباً وتوجست خيفة حينما أمعنت النظر في السائق الذي كان يرمقها بنظرات شيطانية شرسة ..
لقد حفرت صورة ذلك السائق القاسي في ذاكرتها .. ظلت تنظر إليه بأعين مترقبة وقلقة و...
-سيدرا بصوت خافت وخائف ، وبقلق واضح : ماذا ينوي أن يفعل هذا المجنون ؟؟؟
ضغط سليم على دواسة البنزين بكل غضب ، فانطلقت السيارة كالطلقة المدوية ، وتوجه بها ناحية سيدرا ..
رأت سيدرا السيارة قادمة في اتجاهها بسرعة

عالية ، فدب في قلبها الرعب ، وتملكتها رعشة رهيبة وهي تنظر إليها في هلع ، وتنبهت إلى أنها ستصبح واقعة لا محالة تحت عجلاتها إن ظلت متسمرة في مكانها ، لذا ركضت بخطوات سريعة وخائفة للأمـــام محاولة أن تسبقها

ظل سليم يلاحق سيدرا المرتعدة بالسيارة ، وهي تصرخ عالياً كي يغيثها أي أحد ...

ولكن لا جدوى .. فقد كانت بمفردهـا على الطريق ...

كانت سيدرا تستدير برأسها بين الفنية والأخـرى لترى مدى قرب السيارة منها ، فتحاول أن تتسابق في خطواتها ..

تلاحقت أنفاس سيدرا ، وقفز قلبها في مكانه من الرعب الممزوج بالخوف الشديد ، ورغم أن ساقي سيدرا قد بات تؤلماها إلا أنها أصرت على عدم التوقف عن الركض .. فحياتها على المحك ، ولكنها لن تقبل –

رغم قسوة الموقف - أن تستسلم لمصيرها بسهولة.

خـاف هيثم من أن يتهور سليم أكثر من هذا مع الفتاة ، لذا رجـاه أن يتوقف عما يفعل و...

-هيثم برجـاء ، ونظرات متوسلة : كفى سليم ، لقد نالت الفتاة كفايتها

-سليم وهو يجز على أسنانه بغل : ليس بعد ! هي حطمت حياتي

-هيثم متسائلاً بعدم فهم : ماذا تقول ؟

عقد سليم حاجبيه بطريقة وحشية ، وسلط بصره أمامه ، و..

-سليم بنظرات قاتلة ، ونبرة تشبه فحيح الأفعى : سأبيدها كما أبادت سعادتي

-هيثم بتوجس وهو يحاول إيقافه : انتظر سليم ، أنت لست في وعيك

مد هيثم كِلا يديه وأمسك بالمقود وحاول قدر الإمكـان أن يوقف السيارة وأن يعيد سليم إلى رشده ... فقد أفقدته تلك الفتاة

صوابه حقاً .. فبات في عالم أخــر لا يرى فيه سوى أن يتخلص منها
ركضت سيدرا بأقصى سرعتها وهي تكاد تموت رعباً من ذلك السائق المجنون ، ظلت تلهث بصعوبة ، وتحاول إلتقاط أنفاسها ، وما إن اقتربت من تلة صغيرة مغطاة بالشجيرات الخضراء ، حتى إنحنت بجسدها ناحيتها ، وظلت تزحف وتزحف حتى توارت عن الأنظـار
أوقف هيثم السيارة ، وظل ينهر سليم على مافعل ، فهو قد شعر بالندم لتسرعه على الموافقة على تلك اللعبة الحمقاء التي كادت أن تتحول إلى كارثة خطيرة ، ثم طلب منه بهدوء يحمل نبرة جادة أن يبدل مقعده معه كي يكمل هو قيادة السيارة إلى منزله الكبير ..
في البداية كان سليم متشبثاً بمقعده ، مسلطاً بصره عند النقطة التي تلاشت بعدها الفتاة ، واختفت عن ناظريه ، ثم انتبه لاحقاً لصوت هيثم المتذمر ، فتنهد في عصبية ، ورمقه بنظرات خاوية ، لا حياة فيها ...
وبالفعل ترجل سليم من السيارة وظل ينظر بعد أن ضيق عينيه في إتجـاه الشجيرات التي إختبأت بداخلها سيدرا للحظات ، ثم دار حول السيارة ، وركب في المقعد المجاور لهيثم .. استدار هيثم برأسه ناحية سليم ذو ملامح الوجه المتجمدة ، وتنهد بإرتياح لأن الأمــر قد مر مرور الكرام ، ولم ينتهي بفاجعة ، ثم انطلق هيثم بعد ذلك بالسيارة مبتعداً عن المكــان ...
كتمت سيدرا أنفاسها المتلاحقة حتى لا يلاحظها ذاك السائق المجنون ، وما إن رحل حتى تنفست الصعداء من جديد ، ووضعت يدها على صدرها الذي كان يعلو ويهبط بطريقة جنونية محاولة تهدئة نفسها من تلك اللحظات المرعبة التي مرت بها ...

-سيدرا بخفوت وهي تزمجر : ياله من أبله حقير ! كاد أن يقتلني رعباً بتصرفاته الطائشة ، حمداً لله أني نجوت منه !
خرجت سيدرا من خلف الشجيرات التي كانت مختبئة خلفها ، ثم نظرت إلى الطريق بأعين قلقة ، وحينما اطمأنت أن الطريق خالي ، صعدت عليه من جديد ، وسارت مرة أخرى عليه بخطوات مضطربة ، بل الأحرى أن نقول أنها ركضت عليه بخطى سريعة حتى اقتربت من المكان الذي تتواجد فيه عائلتها

....

وصل هيثم بالسيارة إلى حديقة ضخمة وكبيرة مزدانة بالأشجار العالية المتشابكة الأغصان فيما بينها لتشكل سوراً كبيراً وعالياً يحجب الأنظار عما يدور بالداخل ...
أدار هيثم مقود السيارة لكي يصل إلى تلك

البوابة الجانبية حيث ينتظر بجوارها رجل عجوز ، وما إن رأى السيارة حتى نهض مسرعاً من على مقعده الخشبي ، وفتح البوابة لتدلف السيارة إلى الداخل ..
سارت السيارة على طريق ممهد بالأحجار الداكنة وعلى جانبيه نمت حشائش صغيرة ، وفي نهايته يوجد مدخل مزدان بأعمدة رخامية ضخمة حيث ذاك المنزل الأثري الضخم والعتيق الذي يتوسط تلك الحديقة الغناء ...
أوقف هيثم السيارة ، ونظر إلى سليم الجالس بجواره بنظرات متفحصة ، وأشار له برأسه لكي ينزل ... أخذ سليم نفساً عميقاً وزفره على عجالة ، ثم وضع يده على مقبض السيارة وفتحه ببطء شديد ، ثم ترجل سليم منها ..
وقف سليم ينظر إلى ذلك المنزل بأعين تحمل الكره والبغض لذاك المكان ،

وقف للحظات مستنداً بيده على باب السيارة ، شرد بعقله في ذكريات الماضي الآليمة ، ومر بمخيلته طائف من بكاء والدته وتوسلاتها إلى أبيه كي لا يتركها ويذهب إلى تلك الضيعة .. وكيف انتهت حياتهما سوياً بالانفصال ...

لاحظ هيثم شرود سليم فاقترب منه بهدوء ، ثم مد يده ووضعها برفق على كتفه ، وضغط عليه برفق لكي يحثه على الدخول و...

-هيثم متسائلاً بصوت خافت : ما بك ؟

-سليم وهو يزفر في ضيق : لا شيء ..

-هيثم متسائلاً بقلق : ولكن آآآ...

-سليم مقاطعاً بحدة : أريد أن أنتهي من كل شيء بسرعة ، أنا لا أطيق البقاء هنا

-هيثم بهدوء حذر : حسناً ، ولكن دعنا دخل أولاً

سار سليم بخطوات متثاقلة نحو باب المنزل ، ولحق به من خلفه هيثم ..

....

في الطرف الأخر من المزرعة ، كانت سيدرا قد وصلت إلى حيث تجلس عائلتها ، ظلت تلهث وهي تسير ، وتلتقط أنفاسها بصعوبة .. ولم تخلو شفتيها من بعض السباب اللاذع

لمحتها سيلين من بعيد ، فركضت ناحيتها وهي تنادي عالياً بـ ...

-سيلين بنبرة هادرة : سيدرا ..! سيـــــدرا !

انتبه الجميع على صراخ الطفلة سيلين ، والتفتوا جميعاً برؤوسهم حيث ركضت ، وبالفعل رأوا سيدرا وهي تقترب منهم

وضعت سيلين يديها على فمها في فزع حينما رأت ملابس سيدرا ملطخة بالطين و نظرت إليها بنظرات مصدومة و...

-سيلين متسائلة باندهاش : ماذا حدث ؟

لم تجب سيدرا على أختها الصغيرة ، وإنما أكملت سيرها في ضيق ، وتوجهت إلى

والدتها ، ثم ألقت بثقل ساقيها على الأرض فبدى شكلها مضحكاً ، وظلت تسب وتلعن في ضيق جليّ ...
نظرت إليها والدتها وهي تعقد حاجبيها بتعجب شديد وظلت تتأمل هيئتها المزرية و..
-ريحانة باستغراب: ما الذي حدث بنيتي ؟
تحدثت سيدرا كما لو كانت تحادث نفسها و..
-سيدرا وهي تتمتم بنبرة حانقة : إنه مجنون ، حقاً مجنون
-ريحانة متسائلة بعدم فهم: من هو ذاك المجنون ؟
نظرت سيدرا إلى والدتها وأدركت أنها بالفعل جالسة بطريقة مضحكة وتتحدث إلى نفسها ، فاعتدلت في جلستها ولملمت فستانها المبعثر حولها ...
أعادت والدتها تكرار السؤال مجدداً ، وفي تلك المرة أخذت هي نفساً مطولاً ، ثم زفرته في حنق وبدأت تسرد على والدتها ما دار معها على الطريق ....
استمع باقي أفراد العائلة لما سردته سيدرا دون أن يعقب أي أحد منهم ، فقط هم ينتظرون ردة فعل والدتها ...
عاتبت السيدة ريحانة ابنتها على ما فعلت ، وحملتها اللوم فيما جرى لأن لسانها السليط وتهورها هما اللذان قد جنيا عليها ، لذا عليها ألا تلوم الأخرين حينما يردون عليها رداً قاسياً ..
اغتاظت سيدرا كثيراً ، واحتقن وجهها بالدماء الغاضبة ، واشتعلت النيران في عروق عنقها ، ثم نهضت من جوار والدتها وتوجهت ناحية جدها الذي كان يكمل عمله في الحقل ، ومالت برأسها على ظهره ، وأحاطته من الخلف بذراعيها و...
-سيدرا نبرة حانية : جدي ! أنا لست آثمة
أمسك الجد حمدان بيدي حفيدته

المحبوبة ، ثم استدار بجسده ناحيتها ، ومسد على شعرها برفق وحنو بالغة ، ثم ابتسم لها ابتسامة حانية و...

-الجد حمدان مبتسماً ببراءة: أعلم هذا صغيرتي

-سيدرا بضيق ، ونظرات حانقة : قل هذا لأمي ، فهي تظن أني المذنبة فيما حدث

-الجد حمدان بنبرة هادئة : إنها تخشى عليكِ حبيبتي

اعتدلت سيدرا في وقفتها ، ثم رسمت ملامح الجدية والصلابة على وجهها البريء و...

-سيدرا بنبرة واثقة : أنا لا أخشى شيئاً جدي ، فأنا شجاعة ولا يهمني أي أحد

-الجد حمدان بصوت رخيم : يا بُني....

لم يكمل الجد حمدان جملته حيث قاطعته الجدة مريـــام بـ...

-الجدة مريام بحزم : كفاكم لهواً ، نريد أن ننتهي من كل شيء قبل أن تغرب الشمس

احتضنت سيلين جدتها بذراعيها الدقيقة ، ثم رفعت بصرها ناحيتها ، ونظرت إليها بنظرات متعشمة و...

-سيلين متسائلة ببراءة : جدتي هل سنذهب إلى الحفل الكبير الليلة ؟

وضعت الجدة مريام كف يدها المجعد على وجنة الطفلة سيلين الناعمة و...

-الجدة مريام بنظرات دافئة : إن انتهينا مبكراً ربما سنذهب

وثبت سيلين بقدميها في سعادة ، بينما أكمل الجد حمدان عمله ، في حين افترشت سيدرا الأرض بجوار والدتها تتناول الطعام بشَرَهٍ ..

....

دلف سليم إلى داخل ذلك المنزل الكئيب الذي يحمل آلام الماضي بين جدرانه ، لم يتغير به شيئاً ، فكل شيء كما تركه من قبل .. فالأثاث مازال موضوعاً في مكانه

فقط يكسوه غبـار الزمن .. والسجـاد يحمل بين طياته أثار سنوات قد مضت ، وكأنه يرثي حاله ..
جاءت سيدة ما يبدو عليها آثـار التعب والإرهـاق ، وتجاعيد الزمن ، بالإضافة إلى الشيبالذي يغزو شعرها المنمق المعقوص للخلف على هيئة كحكة صغيرة ، ولكنها كانت تبتسم في سعادة ورضـا .. وما إن رأت سليم حتى لفظت عفوياً باسمه ، ثم فتحت ذراعيها بفرحة وكانت على وشك الاقتراب منه وإحتضانه بين ذراعيها بحنو بالغة لأنها كانت تفتقده بشدة ، ولكن أوقفها عن فعل هذا إشـارة جادة في وجهها من كف يد سليم ، فأرخت على الفور ذراعيها إلى جانبها ، ثم أطرقت رأسها للأسفل في خجل و إحراج بالغ و..
-سليم بنبرة جـادة : لم أعد صغيراً يا سوسن ، واسمي السيد سليم
-سوسن وهي مطرقة الرأس بنبرة متلعثمة : آآآ... معذرة سيدي ، كنت... كنت .. أريد فقط الترحيب بك
شعر هيثم بالاحراج الشديد الذي تعرضت له تلك المربية الفاضلة التي تدعى سوسن .. فهي من كانت تتولى رعاية سليم وهو في سن صغير إلى أن انفصل أبويه فانتقلت للعيش في ذاك المنزل الكبير لتتولى شؤونه ...
-سليم بنبرة جـافة وآمـرة : أحضري لنا الطعام
-سوسن بصوت خافت وحزين : حاضر سيدي
مـال هيثم قليلاً بجذعه ناحية سليم ثم همس له بـ ...
-هيثم بنبرة معاتبة : لماذا فعلت هذا ؟
-سليم بنظرات باردة : لا شـأن لك ، وهيا بنا إلى المكتب ، فأنا لا أريد إضاعة وقتي هنا !
-هيثم بإقتضاب : حسناً ..
دلف الاثنان إلى داخل غرفة المكتب بعد

أن أدار سليم مقبض الباب القديم ليصدر صريراً مزعجاً قبل أن ينفتح الباب على مصرعيه ...
مد سليم أصابعه لكي يضغط على مفتاح الإضاءة ، وبالفعل أنارت الغرفة بضوء خافت وباهت ..
نظر سليم إلى ذاك المكتب العتيق ذو اللون البني الداكن ، وتأمل سطحه المغطى بالأترية وهو يمط شفتيه في هدوء حذر ...
جاب سليم ببصره الغرفة ، وهو يزم شفتيه ، إنها على حالها كما تركها قبل عدة سنوات، فهناك مكتبة عريضة وواسعة تأخذ مساحة جدارين من الغرفة ومليئة بمختلف أنواع الكتب والروايات في كافة المجالات ..وهناك أريكة جلدية قديمة موضوعة إلى جوارها ، بالإضافة إلى دولاب خشبي عتيق به العديد من التحف الزخرفية ..

مسح سليم بطرف إصبعه على سطح المكتب ، ثم رفعه ليراه قد تحول للون الرمادي بفعل الغبار ، فنفضه بإصبعيه وعلى وجهه علامات امتعاض ، ثم تحرك بخطوات بطيئة ناحية المقعد المبطن بالقماش من النوع (القطيفة) وذي اللون الزيتي ...
وضع سليم يده بتمهل على طرف المقعد ثم سحبه للخلف بهدوء وجلس عليه بتريث ...
وضع سليم قبضتي يده على سطح المكتب ثم شبك أصابعه معاً ورفع يديه قليلاً للأعلى وأسند ذقنه على مرفقيه ، وسلط بصره في نقطة ما أمامه ، وشرد للحظات .. حدق هيثم في سليم محاولاً سبر أغوار عقله ، و...
-هيثم متسائلاً بنظرات ضيقة : ماذا يدور في بالك ؟
صمت سليم ولم يجب هيثم ، وإنما ظل على حالته تلك ..
أدرك هيثم أن سليم لن يبوح أو يفصح عما

يدور بداخله بسهولة ، لذا تحرك في الغرفة ، وســار في اتجاه المكتبة ، وظل يعبث في محتوياتها القيمة ...
شرد سليم في أحزانه ، كم أن هذا البيت يحمل آلاماً كثيرة ، كم أن كل شيء موجود به يذكره بالماضي وأشجانه ...
قطع شروده صوت المربية سوسن وهي تطرق على باب الغرفة من جديد و..
-سوسن بخفوت ، ونظرات حذرة : الطعام جاهز .. تفضلا
أرخى سليم ساعديه ، ثم تنهد في ضيق ، واستند بقبضتيه مجدداً على سطح المكتب ، ثم بكل حدة دفع نفسه للنهوض عن المقعد ، وســار بنفس الخطوات المتثاقلة نحو الباب ليدلف إلى خــارج المكتب ، في حين وضع هيثم الكتاب الذي كان ممسكاً به على أحد الأرفف ، وسار بخطى سريعة لكي يلحق بسليم ...

تناول الاثنان الطعام في هدوء تام .. في حين كانت المربية سوسن تقف على مقربة منهما حتى تستطيع أن تلبي طلباتهما إن احتاج أحدهما لشيء ...

....

جمعت ريحانة ما تبقى من الطعام ، وأعادته للسلة مجدداً بعد أن رتبته ، بينما نهضت سيدرا من على الأرض وقامت بطي الملاءة بمساعدة اختها الصغرى وهما تتمازحان في مرح ... ثم قامت الجدة مريام بمعاونة زوجها حمدان في جمع أشيائهما من المزرعة ، واستعد الجميع للعودة إلى منزلهم ...

....

فرغ سليم من تناول الطعام ، ونهض عن الطاولة وكأنه آلة تتحرك وفق تعليمات محددة ، ثم توجه مجدداً إلى غرفة المكتب .. في حين ظل هيثم جالساً على مقعده الجلدي ، وحاول أن يعتذر للمربية

سوسن عن أسلوب سليم الفظ والفج في التعامل ، ويختلق له الأعذار حتى لا تحمل في نفسها ضغينة ضده ، فابتسمت له المربية سوسن ابتسامة رقيقة ، ولم تعقب ..
دلف سليم إلى المكتب مجدداً ، وجلس على المقعد الزيتي الوثير ، ثم مد أصابع يده لكي يفتح أحد الأدارج الجانبية ، وأخرج منه عدداً من الأوراق والملفات ...
ثم بدأ في مطالعة كافة الأوراق الموجودة بأدراج المكتب واحداً تلو الأخـر ، ثم قسمهما إلى مجموعتين .. وبدأ بتدوين بعض الملحوظات على ورقة خاوية مسنودة بجواره
دلف هيثم إلى داخل غرفة المكتب ، فوجد سليم مندمجاً في العمل ، فسأله عما يفعل و...
هيثم وهو يعقد حاجبيه في تساؤل: ما الأمر؟
-سليم بنبرة آمرة وهو يشير بعينيه: اجلس يا هيثم

جلس هيثم على المقعد المقابل لمكتب سليم ، ثم أمعن النظر في كل تلك الأوراق القديمة الموضوعة على سطح المكتب و...
-هيثم باستغراب : ما كل هذه الأوراق ؟
-سليم بجدية: إنها عقود الملكية الخاصة بأبي
-هيثم متسائلاً في حيرة : ولماذا تقرأها الآن؟
-سليم بنبرة صارمة : أريد أن أبيع كل شيء هنا
اتسعت عيني هيثم في ذهـــول ، وفغر شفتيه في صدمة و...
-هيثم متعجباً : كل شيء !
-سليم وهو يتمتم بإيجاز : بلى
-هيثم متسائلاً بتوجس : حتى هذا المنزل ؟
-سليم وهو يومىء برأسه : أهـا
-هيثم باندهاش : لماذا ؟
اكفهر وجــه سليم نوعاً ما ، ثم أخذ نفساً مطولاً من جديد ، ونظر إلى هيثم بنظرات

جامدة و...
-سليم بنبرة مريرة : أنا لا أحبذ هذا المكان على الإطلاق ، ولن آتي إلى هنا مجدداً ، لذا أسلم شيء هو أن أتخلص من كل شيء يربطني بهذا المكان وللأبد
-هيثم بنبرة معاتبة : أنت مجنون ، أتعرف هذا ؟ كيف يعقل أن تضحي بشيء ثمين كهذا ؟؟؟
-سليم بجدية وهو يطالع الأوراق : لا أريده !!
....
حل المســـاء ، وذهبت عائلة الجد حمدان إلى ذاك الحفل الريفي البسيط ..
كانت الأجواء فيه مبهجة للغاية ، فكل شيء بسيط ولكن تملأه السعادة والبهجة كان الأطفال يركضون في كل مكان ، جذبت سيلين جلباب جدها بيدها وطلبت منه الانضمام إلى هؤلاء الأطفال فوافق وهو يبتسم لها بابتسامة دافئة .. فركضت سيلين خلفهم لتمرح معهم في فرح ..
سارت سيدرا بخطوات واثقة فهي كانت جميلة الجميلات بحق ، خاصة بعد أن ارتدت ذاك الفستان الأزرق الواسع من الخصر ، والضيق من منطقة الصـدر .. أما عن أكتافه فقط كانت قصيرة ومنتفخة ، فأبرزوا معظم ذراعيها ذو البشرة الناعمة والبيضاء ...
ثم أسدلت شعرها المموج خلف ظهرها ، وربطت شريطة بيضاء حوله لتمنع خصلات شعرها القصيرة من الانسدال على عينيها الزرقاوتين .. وتمايلت برشاقة في خطواتها وهي تسير مع عائلتها
لم تخلوّ نظرات الاعجاب من أعين الشباب بالضيعة أبداً كلما رأوا سيدرا تمر من أمامهم أو بجوارهم ، فالكل يطمع في أن تكون سيدرا هي حبيبته ، أو معشوقته ، ويا حبذا لو كانت هي زوجته .. وكم تقدم لخطبتها أشجع الشباب وأقواهم ، ولكن رفض جدها

أن ترتبط بأي أحد أو حتى تتزوج حتى تكمل تعليمها .. ووافقته والدتها في هذا..
حملت السيدة ريحانة في يدها بعض الأوعية المليئة بالأطعمة الشهية والطيبة التي تفننت في صناعتها ، وكذلك حملت الجدة مريـام بعض الآجـار المليئة بالمربى الطيبة ..
رحبت بعض السيدات بسيدرا وبعائلتها ، ومدت بعضهن أيديهن لتحملن عنهما الأوعية والآجـار ، ثم بدأ الجميع بالإندماج في جو الحفل الرائع ...
تعالت الموسيقى في المكان ، وصدحت الأنغام الحماسية في الأجواء ، وبدأ بعض الشباب يدندنون بالأغاني الريفية الجميلة ، وشاركهم الجد في الغناء ..
وقفت الجدة مريام تنظر إلى حمدان بأعين حانية عاشقة ، فكم مر عليهما سوياً ، وكم عانا لسنوات ،ورغم هذا هما مازالا معاً يواجهان كل الصعوبات والتحديات ..
كم أحبت الجدة مريـام زوجها ، وكم عشقته قبل عقود طويلة .. فصار هو كل حياتها ، وصارت هي كل عمــره .. لقد كان حقاً نعم الزوج والرفيق والحبيب والابن والأخ والصديق ...

....

في داخل المكتب ذو الإضاءة الخافتة ، نهض سليم فجأة عن مقعده عندما طالع أحد الأوراق ، ثم أمسك بتلك الورقة بقبضتي يده ، وظل يقرأها لعدة مرات بنظرات متفحصة ،و بدأ بعدها يتحدث بنبرة غاضبة وعلى وجهه علامات الانزعـاج الواضحة و...
-سليم بأعين مصدومة ، ونبرة هادرة : كيف هذا ؟؟ كيف يسكت أبي عن هذا طوال كل تلك السنوات ؟؟؟

....

انتهى الفصل

الفصل الثالث



تعجب هيثم من الحالة الغاضبة التي انتابت سليم فجأة فنهض هو الأخر عن مقعده ، ثم نظر إليه باستغراب و...

-هيثم بتعجب : ما الأمر ؟

ظل سليم يجوب الغرفة ذهاباً وإياباً في عصبية مفرطة ، لقد تملك الحنق منه ، واشتعلت الدماء في عروقه ، وتبدلت ملامح وجهه للضيق الشديد ، حاول هيثم أن يعرف ما الذي أصابه ، فتوقف سليم عن الحركة ، ثم مد يده الممسكة بالورقة في عصبية إلى هيثم و..

-سليم بنبرة غاضبة : اقرأ المكتوب هنا !

أمسك هيثم بالورقة في يده ، ثم بدأ يقرأ بتمهل ما كتب بها بعينين مترقبتين ، في حين ظل سليم مكوراً لقبضة يده في عصبية و..

-سليم وهو يزمجر بغضب : كيف تفعل هذا يا أبي ، كيف ؟؟

رفع هيثم بصره عن الورقة ، ونظر إلى سليم بنظرات جادة و....

-هيثم بصوت هادىء وجاد : والدك لم يخطيء

-سليم وهو يجز على أسنانه من الحنق : أتعلم أن أبي كان يمكن أن يمتلك أرضاً كهذه قبل سنوات عدة ، ويستفيد بها لولا إصراره على ترك هؤلاء اللصوص دون أن يسددوا دينهم !

-هيثم بنبرة هادئة نسبياً : إنه أمر خاص بأبيك ، فلما كل هذه العصبية ؟

-سليم وهو يشير بيده بحدة ، وبنظرات شرسة : لأنهم لصوص ، يجيدون سرقة حياتي ، وكل ما يخصني

-هيثم متسائلاً في توجس : وماذا ستفعل إذن؟

-سليم بنظرات قاتلة ، ونبرة متوعدة : سأطالب ذاك اللص بسداد الدين ، وإلا ..

-هيثم بترقب: وإلا ماذا ؟

-سليم بنبرة تهديد : وإلا سيطرد شر طردة من أرضـــه !

....

قضت سيدرا ليلتها وهي تفكر في ذلك الغريب الذي طاردها بسيارته ، ودت لو استطاعت أن ترد له الصاع صاعين ، ولكنها بررت لنفسها أنها كانت خائفة وقتها ، وتفاجئت ، وبالتالي لم تحسن التصرف .. ورغم حنقها منه ، إلا أنها انزعجت من نفسها لأن بالها مشغول في التفكير به وبصورته التي حضرت في ذاكرتها ..

عاتبت نفسها لأنها تضيع وقتها من أجله وهو لا يستحق هذا ، ولكنها تعود لتبرير موقفها هذا بأن هناك شيء ما غامض به .. شيء يدفعها لمعرفته ، فقد كان جلياً في عينيه الرماديتين ، والفضول يقتلها لإكتشافه ..

جاهدت هي طوال الليل لكي تنام ، ولكن للأسف خاصمها النوم ، وظلت مستيقظة على

فراشها ، تتقلب على جانبيها ، وهي تعيد في مخيلتها ما مرت به ..
-سيدرا بنبرة ضائقة وهي تجاهد لإغلاق عينيها : أووف ، هلا توقفت عن تذكري به ، أريد أن أنام ..!
ثم وضعت الوسادة على رأسها ، وبدأت في التنفس بهدوء وهي تمني نفسها بأنها ستنام فوراً ....

....

في صباح اليوم التالي ،،،
أرسل سليم في طلب الجد حمدان لأمر عاجل ، حيث بعث إليه حارس منزله الكبير الذي إلتقاه في السوق ، وطلب منه أن يبلغه بضرورة حضوره إلى منزل السيد خالد الريان في المساء
اضطرب الجد حمدان حينما علم برغبة السيد سليم -ابن الرجل المحترم والخلوق خالد- في رؤيته ، فظن أن هذا الأمر له

علاقة بالرهن القديم ..
وظل طوال اليوم عقله شارداً ، يحاول التفكير في طريقة ما لاقناع السيد سليم بإرجاء الدين قليلاً حتى يتمكن من تدبير أموره .. وكان يرجو الله في نفسه أن يكون سليم كأبيه حليماً وصبوراً ...
شعرت الجدة مريام أن هناك خطب ما بزوجها ، فحاله متبدل منذ أن عاود أدراجه للمنزل ، وحاولت أن تعرف ما به ، ولكنه أثر الصمت ..
لم يتناول الجد حمدان طعام الغذاء ، بل إدعى أن هناك وعكة ما به ، واعتذر عن الجلوس برفقة حفيدتيه ، ودلف إلى غرفته وهو عابس الوجه ، منكسر النفس ...
وهنا أيقنت الجدة مريام أن هناك علة ما بزوجها ، فهو حينما يرفض تناول الطعام يكن هذا لسبب خطير ، ولكنها حاولت ألا تظهر هذا أمام ابنتها أو حفيدتيها حتى لا

تثير ذعرهن بدون داعي ..
حاولت الجدة مريم أن تعرف من زوجها ما الذي يقلقه ، وبالفعل سرد لها ما حدث ... اضطربت الجدة مريـام هي الأخرى ، وتملكها القلق الممزوج بالارتباك ، ولكنها حاولت أن تبث الطمأنينة في نفس زوجها ، وذكرته بمدى سماحة صديقه خالد وأخلاقه الكيّسة وكرم أخلاقه .. فربما يكون ابنه على نفس الشاكلة من دماثة الأخلاق .. فتوسم فيه خيراً ، ونظر إلى زوجته بنظرات راجية ، وهو يبتسم في هدوء زائف كما أوصاها الجد حمدان ألا تبلغ أحد بهذا الأمـر إلى أن يتأكد من السـر وراء هذا اللقاء ...

....

وحينما حل المسـاء توجه الجد حمدان إلى منزل سليم الكبير لكي يقابله على حسب الميعاد المتفق عليه مسبقاً ...

طرق الجد حمدان باب المنزل ويداه ترتجفان من الخوف ، فتحت له المربية العجوز سوسن الباب ، ورحبت به ، ثم أشـارت له بيدها لكي يدلف إلى الداخل ، وسمحت له بالانتظار في غرفة الضيوف ... فجلس هو على أقرب أريكة ، وظل يفرك أصابع يديه في توتر شديد ، هو يرجو أن يكون رابط الصداقة القوي بينه وبين السيد خالد كافياً لإقنـاع ابنه سليم بإرجـاء سداد الدين في حالة مطالبته بهذا ..
كانت اللحظات تمر على الجد حمدان كالسنون ، وخاصة أن الجو كان هادئاً للغاية في ذلك المنزل .. مما زاد من حالة القلق لديه ، ثم سمع صوت وقع أقدام يأتي من الأعلى ، فبدأ في الاعتدال في جلسته وترقب ما سيحدث ...
دلف سليم إلى داخل الغرفة ، ونظر إلى الجد حمدان بنظرات مليئة بالازدراء والاشمئزاز

وهو واضع كلا يديه في جيب بنطاله القماشي الداكن ..
مد الجد حمدان يده لكي يصافحه ، ولكنه تفاجيء بأن سليم يرفض مصافحته ، وفقط أشار له بأعينه الرمادية الحادة لكي يجلس في مقعده .. جلس سليم في مواجهة الجد حمدان ، ثم وضع ساقاً فوق الأخرى ، وظل يحرك إحداهما بحركة ثابتة ..
سلط الجد حمدان نظره على ساقي سليم ، ثم أخرج منديله القماشي ليجفف به عرقه البارد المتصبب على جبينه ... وابتلع ريقه بصعوبة ، ثم حاول أن يستجمع شجاعته لكي يبدأ بالحوار ، ولكن خرج صوته متحشرجاً ضعيفاً و..
-الجد حمدان بصوت متحشرج ومتلعثم : أنا.. أنا
أشار له سليم بإصبعيه لكي يصمت ، فنظر إليه الجد بأعين مصدومة وزائغة و...

-سليم بحدة وبصوت هادر : أنت لص وضيع ! استطعت أن تضحك على أبي وتسرق منه ماله طوال تلك السنوات ، فلن أنخدع بمظهرك هذا !
تجمدت الكلمات في حلق الجد حمدان ، ولم يقوَ على أن ينطق بكلمة واحدة ، فحلقه صار جافاً للغاية ..
نظر إليه سليم بإستعلاء ممزوج بالاشمئزاز ، ثم توقف عن تحريك ساقيه ، وأنزلها ،ونهض عن مقعده فجأة ، وانتصب في وقفته و..
-سليم مكملاً بنبرة قاسية ونظرات مهددة : أريد مال أبي كاملاً غداً ، وإلا .. وإلا تحمل العواقب !
اتسعت عيني الجد حمدان في ذهول وصدمة ، ثم شحب لون وجهه تدريجياً ، وتحول نوعاً ما للزرقة ، وتبدلت ملامحه إلى الزعر حقاً
-الجد حمدان بنبرة متلعثمة : غ... غداً ؟

-سليم بقسوة شديدة : بلى ، وإلا أعدك أنك ستلاقي الجحيم
-الجد حمدان بنبرة راجية ، ونظرات متوسلة : ولكني لا .. لا أستطيع أن أتدبر حالي ، أحتاج على الأقل إلى .. إلى مهلة و آآآآ....
-سليم مقاطعاً ببرود شرس : هذا ليس شأني .. انتهت المقابلة !
أولى سليم ظهره للجد حمدان الذي ظل متسمراً في مكانه للحظات من هول الصدمة ، فهو لم يتوقع هذا مطلقاً .. لقد خابت آماله حقاً ، وإنهارت في لحظة كل حياته.. لقد كان الشاغل الأكبر حقاً للجد حمدان ، هو كيفية إبلاغ عائلته بتلك الكارثة التي حلت عليهم دون سابق إنذار .. اعتلى وجه سليم ابتسامة باردة وهو يتلذذ نوعاً ما بتعذيب ذلك الكهل ، ولكنه برر لنفسه أن ذلك حقه الذي أراد استرداده ، ولن يفرط فيه من أجل حفنة من الفلاحين الأغبياء ...

استدار الجد حمدان ، وسار بخطوات متعثرة ومتثاقلة نحو باب الغرفة وهو يحمل همّ الدنيا فوق رأسه .. لقد كبر عمراً فوق عمره ، وشعر أنه عاجزاً تماماً عن فعل أي شيء .. لقد كان على وشك الإنهيار ، فساقيه لم تعد تقويان على حمله .. لقد أظلمت الدنيا فجأة في وجهه ، وأصبح كاهله مثقلاً بالدين ..
-الجد حمدان في نفسه بحسرة ومرارة : يا الله ! كيف أسدده ؟ أنا لا أملك إلا قوت يومي ، فكيف أدفع ذلك المبلغ الطائل غداً ؟؟ لقد ضاع كل شيء ، لقد خسرت كل شيء ، ماذا أفعل ، ماذا ؟؟؟
....
وقف سليم أمام النافذة ، وظل يتابع الجد حمدان وهو يسير بخطوات عاجزة على الممر الحجري خارج الفيلا .. ثم وضع كلتا يديه في جيبه ، ولم يحيد ببصره عنه ، بل تعمد

أن ينظر إليه بتشفي ، ثم اعتلت زاوية فمه ابتسامة زائفة ...

....

مــر الوقت كالدهر على الجدة مريام وهي تنتظر عودة زوجها بفارغ الصبر من الخــارج ، ظلت تراقب الطريق من النافذة الصغيرة الموجودة بغرفة الطعام وهي جالسة على أريكة قديمة متهالكة موضوعة أسفلها ، ثم رفعت بصرها للسماء تدعو الله في نفسها أن يجعل زيارته تلك بفائدة ...

أخفضت الجدة مريام بصرها ، ثم ضيقت عينيها حينما لمحت طيف شخص ما يقترب من بعيد و...

-الجدة مريام بخفوت : بلى ، إنه حمدان ، ولكن ماذا به ؟؟

لقد أمعنت النظر في زوجها حمدان وهو يعاود أدراجه للمنزل ولكن بخطى ثقيلة وضعيفة .. لقد رأته محني الظهر ، شاحب الوجه ، جامد الملامح ، منكسر الروح ، فإنتفضت فزعاً في مكانها ، ثم نهضت عن الأريكة ، وســارت بخطى سريعة نحو باب المنزل لتفتحه ، وتستند بجواره وعلى وجهها علامات التلهف وبعينيها نظرات توجس ...

اقترب الجد حمدان من الجدة مريام بوجهه الشاحب ، ورأت في عينيه بريق عبرات حزينة تحاول الصمود في مقلتيه وألا تنساب.

خفق قلبها بشدة ، فهي أدركت بدون أن يتكلم زوجها أنه عاد خائب الرجاء ، وأن الأمــر ليس بالهين على الإطلاق

-الجدة مريام بنبرة مرتعدة ومتلعثمة : ماذا .. ماذا حدث ؟

جاهد الجد حمدان كثيراً لكي يتحدث ، ولكنه لم يستطعْ ، فقد إنهــارت قواه أمامها تماماً ، وسقط على أرضية المنزل الخشبية عاجزاً عن الحركة .. فصرخت هي بفزع في أرجــاء المكان ، مما جعل ابنتها وحفيدتيها

يركضن سريعاً في اتجاههما
اتسعت أعين الجميع في صدمة حينما رأين الجد حمدان ممدداً على الأرض أمامهن ، حاولت سيدرا إفاقة جدها بعد أن جثت على ركبتيها أمامه ، في حين أمسكت ريحانة برأس أبيها وضمته إلى صدرها وظلت تبكي خوفاً عليه .. بينما تسمرت سيلين في مكانها ، ونظرت إليه بنظرات خائفة ..
تعاونت سيدرا مع جدتها ووالدتها في حمل الجد حمدان وإدخاله إلى غرفة نومه ، ثم وضعه برفق على الفراش ..
ثم ركضت سيدرا للخارج ، وتوجهت ناحية المطبخ ، واحضرت كوباً من الماء البارد ، وعادت إلى الغرفة مجدداً ، ومدت يدها بالكوب إلى جدتها التي حاولت أن تجعل زوجها يرتشف منه بعض القطرات ..
ابتلع الجد حمدان الماء بصعوبة ، ونظر إلى زوجته بأعين دامعة منكسرة .. فأومأت الجدة مريام بعينيها إليه وقد فهمت على الفور طلبه و...
-الجدة مريام بخفوت : اتركوا الجد يرتاح قليلاً
-سيدرا متسائلة بنظرات قلقة ، ونبرة مرتعدة : ما الذي أصابه جدتي ؟
-الجدة مريام بتلعثم : هـه ، لا .. لا شيء ، إنه فقط مرهق
لم تقتنع سيدرا بما قالته جدتها ، فهي ليست حمقاء ، هي تظن أن هناك خطب ما قد حدث لجدها ، وجدتها تحاول إخفائه عنهن ، ولكنها لن تستسلم أبداً ، وسوف تعرفه عاجلاً أم آجلاً ...
انصرفت ريحانة خارج الغرفة بعد أن دثرت والدها جيداً في الفراش ، واطمأنت على أنه قد سكن تماماً .. ثم صعدت إلى غرفتها ، وجلست في فراشها وهي تحاول إقناع نفسها أن أبيها سيكون بخير ، وأن ما به هو مجرد

وعكة ما ...
غفت سيلين إلى جوارها ، فربتت ريحانة على ظهرها في حنان ، ثم رفعت الملاءة قليلاً لكي تغطيها ... وظلت تحدق بها في إشفاق ..
-ريحانة في نفسها بنبرة آسى : إلى متى سأظل عبئاً على والديّ ، عليَ أن أكد أكثر في عملي كي أهون عليهما قليلاً .. يا الله أعني على ما هو قادم
....
ظلت الجدة مريام جالسة إلى جوار زوجها ، تمسد على شعره برفق ، وتحاول التهوين عليه قليلاً ..
في نفس الوقت تقريباً كانت سيدرا تُعيد ترتيب الصحون الفارغة في الدولاب الزجاجي العتيق حينما سمعت صوت همهمات غير مفهومة تنبعث من غرفة جديها ..
فسارت هي على أطراف أصابعها بحذر في اتجاه باب غرفتهما بعد أن تركت الصحن الفارغ على الطاولة ، ثم إستندت برأسها على الباب بعد أن أمالتها قليلاً محاولة الإنصات إلى همسهما
ســرد الجد حمدان لزوجته بصوت حزين منكسر ما حدث خلال لقائه بإبن رفيقه ، وإصراره على سداد قيمة الدين بالكامل غداً ، وإلا خسر كل شيء ..
شحبت ملامح الجدة مريــام ، وأخفضت عينيها في يائس مرير ، فهي متيقنة أنهم عاجزين عن سداد قسط واحد من قيمة الدين ، فماذا عن الدين كله ..
-الجدة مريام بنبرة حزينة : يا الله ! إنها كارثة بحق ، ماذا سنفعل ؟
-الجد حمدان بنبرة منكسرة : لا أعــرف
شهقت سيدرا في خوف ، وخفق قلبها في رعب ، ثم وضعت كلتا يديها على فمها لتكتم صوت صراخها المكتوم في صدرها ، فقد عرفت للتو سبب حـزن جدها وإنهياره ...

ثم ذرفت دموعاً حارقة رغماً عنها بعد أن استرقت السمع إليهما ، لقد ضحى جدها بالكثير لأجل عائلته ، وهناك شخص مستبد قاسي لا يملك سوى قلب من حجر يحاول تحطيم عائلتها بالكامل وسلب حياتهم بلا شفقة ولا رحمة .. جففت سيدرا دموعها بأطراف أناملها ، وحدقت أمامها بنظرات مصدومة ..

لقد احتقن وجـه سيدرا بالدمـاء، واشتعلت مقلتي عينيها بالغضب وتحولتا إلى جمرتين من نـار .. ومدت يدها وأمسكت بمقبض الباب وأدارته بكل قوة لتفتح الباب وتدلف إلى داخل غرفة جديها ...

اعتلت الدهشة وجه كلاً من الجد حمدان والجدة مريام حينما رأيا سيدرا أمامهما في تلك الساعة المتأخرة ..

توجست الجدة مريام خيفة من هيئة سيدرا المريبة ، ونظرت إليها بنظرات حائرة و..

-الجدة مريام متسائلة في اضطراب : ما .. ما الأمـر بُنيتي ؟

-سيدرا بنبرة صارمة : لقد عرفت كل شيء جدتي ، لا داعي لإخفاء الأمر أكثر من هذا

ابتلعت الجدة مريام ريقها في توتر شديد ، وأدارت رأسها للجانب لتنظر إلى زوجها بنظرات مرتبكة ، ثم استدارت مجدداً لتواجه عيني سيدرا المحدقتين بها و...

-الجدة مريام بتلعثم شديد: مـ... ماذا تقصدين ؟

أعـادت سيدرا بنفس الصلابة تكرار عبارتها الأخيرة دون أن ترمش حتى ، فإنحنت جدتها برأسها للأسفل في حـزن وبدأت تبكي بمرارة .. فرق قلب سيلين فجـأة ، وتبدلت ملامحها للين ، ثم اقتربت من فراش جدتها وجثت على ركبتيها أمامها ، ثم أمسكت بكفي يدها المرتعشين ، ودفنت وجهها في راحتيها و...

-سيدرا بنبرة باكية : لن أتخلى عنكما جدتي ، سوف أحـاول جاهدة أن أصلح الوضع ، إطمئني !

أجهشت الجدة مريام بالبكاء ، فنهضت سيدرا من على الأرضية الخشبية ، وجلست على طرف الفراش ، ومدت يدها لتمسح العبرات عن وجنتها المتجعدة و..

-سيدرا بنبرة حزينة : أعدك جدتي أن كل شيء سيسير على ما يرام

تنهد الجد حمدان في آسى عميق ، وأشـاح بوجهه للناحية الأخرى ، ثم أطرق في الحديث بـ..

-الجد حمدان بحسرة : لم أكن أتخيل أن يصل الوضع إلى هذا ، فقد ظننت أن السيد خالد قد تناسى أمر الدين

-الجدة مريام بنبرة باكية : لقد أخبرتك منذ فترة أن الأوضاع تغيرت ، ولم يعد السيد خالد متواجداً هنا ، ولكني رغم هذا كنت أرجو أن يكون ابنه حليماً وصبوراً مثله

التفت الجد حمدان برأسه ناحية زوجته ، ورمقها بنظرات عاجزة و..

-الجد حمدان بنبرة آسفة : لقد خاب رجاؤك يا مريام !

-سيدرا بنظرات مضطربة ،ونبرة متعشمة : سوف أحـاول يا جدي ، بلى سوف أتحدث معه ، فقط أخبرني بعنوانه ، وأنا سأطلب منه مهلة حتى نتمكن من سداد الدين

هـز الجد حمدان رأسه في امتعاض ، و..

-الجد حمدان بنظرات قلقة ، ونبرة متوجسة : أخشى عليكي بُنيتي من أسلوبه الفج

-سيدرا وهي تبتلع ريقها بمرارة : لا يهم جدي ، فأكثر ما يؤلمني حقاً هو أن أراك بتلك الحالة

-الجد حمدان بنبرة حازمة : لا بُنيتي

-سيدرا بنبرة استعطاف : ارجوك جدي ، لن أخسر شيئاً من المحاولة

-الجدة مريام بنبرة راجية : دعها تحاول ، لعل سعيها يأتي بفائدة
-سيدرا بنظرات متوسلة ، وبإصرار : بلى جدي ، لعله يقتنع بحديثي معه !
زفـــر الجد حمدان بضيق ، فهو يعلم أن محاولتها لن تأتي بفائدة معه ، ولكنه لن يمنعها عن التجربة ، فهي عنيدة للغاية ، وستصر على أن تقابله مهما رفض ..
-الجد حمدان بنبرة بائسة : حسناً ، ولكني سأصحبك
-سيدرا بنبرة متمهلة : لا داعي جدي ، ارتاح أنت في الفراش ، وأنا سأذهب إليه بمفردي
-الجد حمدان بحزم : لا لن يحدث ..!
-الجدة مريام وهي تتشدق بمرارة : إن غدوت بخير حمدان ، إذهب معها ..
-الجد حمدان بخفوت : حسناً ..
مسدت الجدة مريام على شعر حفيدتها برفق ، ثم مدت يدها الأخـــرى ومسحت بها على وجنتها بحنو ، ونظرت إليها في امتنان ..
سألت سيدرا جدها عن العنوان ، فأخبرها بمكانه ، وبالطبع استطاعت أن تعرفه فالضيعة صغيرة ، والأماكن بها محدودة ، ومنزل عائلة خـــالد الريان معروف للجميع ..
جلست سيدرا إلى جوار جديها على طرف الفراش إلى أن غفا كلاهما تماماً ، فعقدت العزم على أن تتسلل من المنزل وتذهب خلسة إلى منزل ذلك القاسي والمتحجر القلب مع أول ضوء للنهار لعلها تقنعه بإرجـــاء سداد الدين قليلاً دون أن تعرض جدها لمشقة الطريق خاصة في حالته الصحية تلك ..

....

تسللت سيدرا من الغرفة وهي تسير على أطراف أصابعها بحذر ، ثم توجهت ناحية الدرج وأمسكت بالدرابزون ، وصعدت إلى غرفتها لتتبدل ثيابها بأخرى مناسبة للخروج

ارتدت هي فستاناً طويلاً من اللون الزيتي الداكن ، له فتحة صدر واسعة تبرز عنقها العاجي الطويل ، وأكتاف قصيرة تغطي مقدمة ذراعيها الطويلين ..
ثم مشطت شعرها للخلف ، وربطت في مقدمة رأسها شريطة من نفس لون الفستان لتمنع انسدال خصلاتها وتعبثرها .. ثم وضعت على رأسها وشاحاً لتغطي به وجهها وهي تسير في ذلك الوقت الباكر على الطريق حتى لا تلفت إليها الأنظـار ..

....

دلفت سيدرا خـارج المنزل بهدوء حذر بعد أن تأكدت أن الجميع مازال نائماً بالداخل ، ثم أوصدت الباب الخشبي العتيق بحذر شديد خلفها ، وركضت مسرعة نحو الطريق ...
ثم غطت وجهها ورأسها وهي تسير على الطريق الأسفلتي الذي يتوسط المزروعـات في تلك الساعة الباكرة ..

دعت سيدرا الله كثيراً طوال الطريق أن يوفقها في مسعاها ..

....

وصلت سيدرا إلى ذلك المكان المهيب ..
اتسعت عينيها في قلق حينما وجدت نفسها تقف أمـام بوابة حديدية تحاوطها أشجارٍ عالية ..
ثم أخذت نفساً عميقاً ، وزفرته على تمهل محاولة أن تستعيد به رباطة جأشها قبل أن تقرر الدخول لمقابلة ابن ذلك الرجـل ..
وضعت سيدرا يدها على أحد القضبان الحديدية ، وحاولت دفع البوابة بيدها الرقيقة للأمـام ، ولكنها كانت موصدة ، فجابت ببصرها المكان وهي تطل برأسها لترى ما الذي يوجد بالداخل ..
لمحت هي حارساً عجوزاً مسجى بجسده على أريكة خشبية متهالكة ، ويغط في نومه ...

فنادت عليه بخفوت ، ولكنه لم يستمع إليها ، لذا رفعت صوتها نسبياً ، فتنبه الحارس العجوز لوجودها ، واعتدل على أريكته ، ثم نظر إليها بعينين ناعستين ، ووجه مكفهر و..

-الحارس بصوت متحشرج : ماذا تريدين ؟

-سيدرا وهي تتلفت حولها بقلق : أريد مقابلة صاحب هذا البيت

-الحارس بنظرات ممتعضة : في هذا الوقت الباكر

-سيدرا باقتضاب : بلى ، فهو يعلم بوجودي

رمـق الحارس سيدرا بنظرات غريبة ، ولوى فمه في انزعـاج ، ثم نهض عن الأريكة ، وتوجه ناحية البوابة الحديدية وفتحها ..

دلفت سيدرا إلى الداخل وجسدها الرقيق يرتعد مما هي مقبلة عليه ، فحاولت هي قدر الإمكان أن تسيطر على خوفها المبرر ، وتكمل ما قد جاءت لأجله ...

ثم ســـارت على الممر الحجري بخطوات بطيئة ، وهي مخفضة لبصرها محاولة ألا تتعثر في خطاها وهي تسير من الارتباك الممزوج بالخوف ...

وصلت سيدرا إلى مدخل المنزل الكبير ، ومدت يدها المرتجفة لتقرع الجرس ..

انتظرت سيدرا لفترة قبل أن تعيد قرعه مجدداً ، وبعد لحظة فتحت لها الباب المربية العجوز سوسن ...

نظرت المربية سوسن إلى سيدرا بنظرات ضيقة وهي ترمش عدة مرات و..

-سوسن بخفوت : من أنتِ ؟

-سيدرا بنبرة متلعثمة : صباح الخير ، أنا .. أنا أريد مقابلة السيد لأمر هام

-سوسن وهي تعقد حاجبيها في استغراب : ماذا ؟

-سيدرا بنبرة مرتبكة : من فضلك أبلغيه بهذا ، هو يعلم بأمري ، أقصد أمر جدي

حمدان.
صمتت المربية سوسن للحظات تفكر في كيفية التصرف في هذا الأمـر ، فهي لا تريد إزعاج رب المنزل في تلك الساعة المبكرة ، ولكنها في نفس الوقت لا تعرف إن كان حقاً قد أعطى لتلك الفتاة موعداً مسبقاً دون أن يخبرها .. لقد ترددت المربية سوسن ، ونظرت إلى سيدرا بنظرات حائرة ، وفي النهاية حسمت أمرها بـ ...
-سوسن بنبرة شبه جادة : تفضلي ، سأبلغه بوجودك ، ولكن بعد لحظات
أومـأت سيدرا برأسها موافقة ، ونظرت إلى السيدة العجوز بنظرات امتنان
في حين فتحت المربية سوسن الباب قليلاً لتدلف سيدرا إلى الداخل وقلبها يخفق بشدة من التوتر .. حاولت سيدرا أن تبلل شفتيها بريقها لعلها تتغلب على جفاف حلقها المفاجيء من فرط التوتر ..

أشارت المربية سوسن بيدها إليها لكي تدلف إلى غرفة الصالون ، فإنصاعت سيدرا لها ، وجلست على الأريكة في استحياء ..
غابت المربية سوسن في الداخل لفترة ، في حين استرقت سيدرا النظرات إلى ذلك المكان شبه المظلم والكئيب المليء بالأثاث الباهظ والعتيق .. لقد كان كل شيء منمقاً للغاية ، ورغم هذا فالمنزل كان خالياً من الحياة بارداً ، تفوح فيه رائحة الموت ، فشعرت هي بالاختناق رغم أنه لم يمر على وجودها به إلا دقائق معدودة ...
....
مـر وقت طويل على سيدرا وهي جالسة على الأريكة في انتظار مقابلة ابن السيد خـالد حتى شعرت بالضجر والملل ..
لقد ظنت أن السيدة العجوز قد تناست أمرها حقاً ، لذا نهضت عن الأريكة ، وهي تزفر في ضيق وقررت الانصراف ..

لقد كان جدها محقاً ، فهذا الرجل فج ، وفظ ، لا يعير أي أحد الاهتمام ..
ولكن قبل أن تدلف سيدرا إلى خـــارج الغرفة استمعت إلى أصوات هادرة تأتي من غرفة قريبة جعلتها تتسمر في مكانها ...
لقد سمعت بأذنيها إهانة جدها والتطاول بالألفاظ البذيئة عليه وعلى عائلتها ونعتهم باللصوص مما جعل دماؤها تغلي في عروقها ، واحتقن وجهها فوراً بحمـرة الغضب ، فكورت قبضتها الرقيقة في قوة ، وأدارت رأسها في اتجاه مصدر الصوت ، ثم ســارت ناحية باب الغرفة المغلق ، ومدت يدها وأمسكت بالمقبض ، وأدارته بكل حنق لينفتح أمامها ، وتدلف للداخل وعلى وجهها انفعالات حـــادة
تسمرت سيدرا في مكانها ، واتسعت عينيها الغاضبتين في ذهول حينما وجدت ذلك السائق المجنون يقف أمامها ..

جحظت عيني سليم في غضب حينما رأى تلك الفلاحة البلهاء تقتحم عليه غرفة مكتبه دون إذن منه!

....

انتهى الفصل
روايات قصيرة تصدر حصرياً عن قلوب أحلام
منتديات روايتي الثقافية

الفصل الرابع



تملك الغضب الجم من سليم وهدر بصوت مخيف في المربية سوسن بعد أن أشاح بوجهه عنها و...
-سليم بنبرة صادحة ، وعيني حانقتين : كيف تجرؤ تلك الحمقاء على اقتحام منزلي هكذا ؟؟ كيف تسمحين لها بهذا ؟؟
-سوسن بنبرة مرتعدة : لقد .. لقد قالت لي أنها آآ...
-سليم مقاطعاً بنبرة آمرة وصلبة ، ونظرات شرسة : اطرديها خارج منزلي ، ولا تسمحي لأمثالها بالمجيء إلى هنا مجدداً ، هل تسمعين ؟؟؟؟
عضت سيدرا على شفتيها من الغيظ المختلط بالحنق الشديد ، ورمقت سليم بنظرات مميتة ، ودت لو استطاعت أن تفتك به ، أو حتى تصفعه بشدة لتخرسه ، ولكنها تحاملت على نفسها من أجل عائلتها ، وابتعلت مرارة الإهانة بصعوبة ، فقد أشعلت جذوة نيران الغضب

لديها عنجهيته المفرطة ..
-سوسن بنبرة خافتة : هي أبلغتني أنك أعطيت لها موعداً يا سيدي ، والا ما كنت تركتها تمرق للداخل
استدار سليم برأسه ناحية سيدرا ليرمقها بنظرات مهينة ، و..
-سليم متابعاً وهو يزمجر بغضب : وكيف أعطي لأمثالها موعداً ، هل جننتي ؟
هنا استشاطت سيدرا ، وغليت الدماء في رأسها ، ودلفت لداخل مكتبه بخطوات غاضبة ، ثم طرقت بقبضتي يدها بعنف على سطح زجاج مكتبه و..
-سيدرا بنبرة هادرة ، ونظرات محتقنة : لولا الظروف ، ما كنت خطوت بقدمي إلى مثل هذا المكان الكريه ، ورأيت وجهك البغيض مجدداً .
ضيق سليم نظراته ، وحدق في سيدرا بحنق وهو عاقد حاجبيه في توتر ملموس و..

-سليم متسائلاً وهو يلوي فمه في تهكم : عن اي ظروف تتكلمين ؟
-سيدرا باقتضاب : ظروف جدي ، ودينه الذي اااا....
-سليم مقاطعاً بسخرية : أهـا ، لقد فهمت الآن ، لقد عجز جدك عن سداد دينه ، فقرر أن يرسل حفيدته البلهاء لعلها تنجح في اقناعي بتأجيل الدين
اتسعت عيني سيدرا في ذهول ، وفغرت شفتيها في صدمة ، فقد أهانها سليم مجدداً ، لقد عجزت سيدرا لوهلة عن الدفاع عن نفسها وتجمدت الكلمات على شفتيها ، فابتسم هو ابتسامة شيطانية فقد أصاب في رأيه ، ثم تابع بـ ...
-سليم متابعاً بإبتسامة أكثر قسوة : هكذا الأمـر اذن !
-سيدرا وهي تبتلع ريقها بمرارة : ليس بالظبط ، ولكننا نطمع في مهلة أكبر حتى

نسدد الدين
-سليم متسائلاً بحيرة : وكيف ستفعلي هذا؟
-سيدرا وهي تتمتم بصوت مختنق : لا شأن لك.
مط سليم شفتيه في امتعاض ، وعقد ساعديه أمام صدره ، ونظر إليها بإمعان و...
-سليم بنبرة ساخرة : إنه شأني ، أم أنكِ تحاولين الايقاع بي في شباكك ؟
-سيدرا معترضة بحدة : أنا لست بتلك الأخلاق البذيئة !
-سليم بتهكم : وكيف أعرف هذا ؟ فكلكن هنا سواسية في إيقاع الرجال مهما اختلفت هيئتكن !
-سيدرا بنبرة تحمل القليل من الكبرياء ، ونظرات اعتزاز: أنت مخطيء في ظنك ، وإن كان الأمر مرفوض بالنسبة لك ، فلا داعي لهراءك السخيف هذا معي ، فأنا لست كمن تظن ! كما أنك لا تعرفني لكي تصدر أحكاماً عليّ ..!
-سليم ببرودة ساخرة ، ونبرة جافة : لا أريد هذا الشرف ، فهذا لا يليق بي ، كما أن أمثالكم من الفلاحين والرعاة لا يصلحون إلا لخدمة أسيادهم ..
-سيدرا فاغرة شفتيها : هـه
التفت سليم برأسه إلى المربية سوسن ، و..
-سليم متابعاً ببرود قاسي : لا أقصد الإساءة سوسن ! ولكني لا أتحمل حماقات الجهلاء والعبيد !
جزت سيدرا على أسنانها في غل ، ثم رمقت سليم بنظرات استهجان و...
-سيدرا بنبرة مستنكرة : أنا لست بخادمة أو عبدة عندك ، فأنا امرأة حرة ، لن يملكني أحد مهما حييت ، ويوماً ما سألقن أمثالك درساً عمن وصفتهم بالجهلاء.
لوى سليم فمه في تهكم ، ورمقها بنظرات متمهلة ومتفحصة لهيئتها الريفية البسيطة

التي أثارت حنقه ، فقد ذكرته بتلك المرأة التي تسببت في تدمير حياة والدته كوثر، وانعكست على حياته هو فأصبح مشتتاً مدمراً .. فقست ملامحه أكثر ، وضاقت عينيه و..

-سليم بنبرة استخفاف ، ونظرات قاتمة :

أبلغي جدك أن عرضه الرخيص مرفوض ، وأسلوبه المنحل في إرسال حفيدته للايقاع بي واقناعي ببراءتها المستفزة لن ينجح معي ، فأنا ااا....

لم يكمل سليم عبارته الأخيرة حيث رفعت سيدرا يدها عالياً في الهواء ، وهوت بها على وجهه لتصفعه بحدة ، فنظر إليها في ذهول تـــام ....

-سيدرا بصراخ عنيف : كفـــى !

حدق سليم بشراسة في عيني سيدرا الزرقاوتين ، و التي ارتجفت أوصالها من نظراته المميتة لها ، وظنت أنه سيقتلها فوراً فتراجعت خطوتين للخلف ، وانتفض قلبها رعباً ، وتسارعت دقاته لدرجة أنها ظنت أنها ستصاب بالصمم من صوت خفقانه الهادر ، هي لم تعرف كيف جاءتها تلك الشجاعة المهلكة لكي تتمكن من صفعة بكل قسوة هكذا دون أن ترمش أو يرتد لها طرف.

صُدمت المربية سوسن مما فعلته سيدرا ، وشهقت في فزع ، ونظرت إلى كليهما بنظرات زائغة مضطربة .. لقد خشيت المربية سوسن على سيدرا من عصبية السيد سليم المفرطة

تسمر سليم في مكانه ، وقد تحول وجهه بالكامل لجمرة متقدة ، في حين تسارعت أنفاس سيدرا وهي تترقب ردة فعله عليها .. أرادت المربية سوسن أن تحول بينهما حقناً للدماء وإنقاذاً للموقف ، ولكن رفع سليم كف يده في وجهها لتصمت قبل أن تفتح شفتيها ، وظل مسلطاً بصره على سيدرا و...

-سليم بنبرة آمـرة و مختنقة من الغضب :

- اتركينا بمفردنا.
إنتاب سيدرا الرعب وتسربت برودة قارصة في أطرافها ، وعقدت العزم على الفرار فوراً من أمامه ، فقد ظنت أنه سيلقنها درساً قاسياً لا محالة ، وربما سيرديها قتيلة إذا ما ظلت واقفة أمامه ، لذا لم تنتظر في مكانها ، بل ركضت سريعاً للخـــارج ووجهها شاحب للغاية ، واتجهت ناحية باب المنزل لتمسك بمقبضه ، ثم فتحته بلا هوادة ، ومن ثم هربت من ذلك المكان المشحون بالكره ، وهي خائفة مما هي مقبلة عليه لاحقاً.
ركضت سيدرا وكــأن شبحاً مخيفاً يُطاردها ، لم تعبىء بالوشاح الذي طـار عن رأسها وكشف وجهها ، بل إنها لم تهتم بالشريطة التي حلت عقدتها ليتحرر شعرها ويتمرد بقسوة على وجهها ، ولم تكترث بأنين ساقيها المتألمة نتيجة ركضها السريع ، فقد كان شاغلها الأكبر هو أن تبتعد عنه ، تبتعد عن طيفه القاسي المتحجر الذي كان يتجسد أمامها ..
لقد كان جدها حمدان محقاً ، فلم تنلْ من لقائها به سوى الإهانة والمذلة .. وأضف فوق هذا انتقامه الشيطاني المنتظر ...

....

عادت سيدرا إلى منزلها وهي في حالة لا تحسد عليها .. فتحت باب المنزل بأيادٍ مرتعشة ، وجابت المكان بنظرات خائفة ، ثم ركضت ناحية الدرج وأمسكت بالدرابزون وصعدت عليه بخطوات قافزة ، واتجهت إلى غرفتها ، ومن ثم أوصدت الباب بالمفتاح عقب دلوفها لداخل الغرفة ...
إستندت هي بجسدها على الباب وظلت تلهث بصعوبة بالغة محاولة تهدئة روعتها ..
لقد أدركت أنها تصرفت برعونة ، ولم تحسب نتائج فعلتها تلك، فأجهشت بالبكاء المرير، وخـارت قواها وجلست على الأرض

وهي تلعن حظها العاثر الذي أوقعها مع ذلك اللعين مجدداً ..
لم تدرِ سيدرا كم من الوقت مر عليها وهي جالسة على تلك الحالة منتحبة ، شاردة ، خائفة ، و مترقبة لما سيحدث لاحقاً ..
ثم قررت أن تنهض عن الأرض ، وتبدل ثيابها سريعاً وترتدي منامتها ، ثم ترمي بنفسها في أحضان فراشها لعلها تحصل على السلام الداخلي حينما تغفو ...

....

ظل سليم يدور ذهاباً وإياباً في غرفة المكتب الموجودة بمنزله الكبير والعصبية المفرطة تسيطر على كل كيانه ، فلم تتجرأ أي امرأة عليه من قبل مثلها ، ظل صدى اسمها يتردد في أذنيه مشعلاً نيران الغضب أكثر بداخله ، فأمسك بكأسه يتجرع منه الخمر لعله يهدأ ، ولكنه كان بركان غضبه يزداد اتقاداً ، فضغط بقسوة

على الكأس بقبضة يده مما جعله يتحطم ، وتتناثر بقايا الزجاج على الأرضية ، و.....
-سليم وهو يجز على أسنانه بنبرة مميتة ، وبنظرات شيطانية مخيفة وحانقة : سيدرا .. سيدرا.. سيدرا ، سأريكِ من أنا يا سيدرا....!

....

غطت سيدرا في نوم عميق ، حيث هاجمتها الكوابيس المزعجة عن سليم وبيته المرعب ، لقد ظلت تجاهد في حلمها لكي تقاوم انجرافها نحو فوهة نيران تندفع من داخل منزله ، ولكن للأسف انزلقت قدميها ، وهوت ناحية الفوهة ، لتفيق فجـأة من نومها وهي تتصبب عرقاً غزيراً وتحاول التقاط أنفاسها اللاهثة ..
-سيدرا بنبرة مرتعدة ، ونظرات مضطربة : يا الله ! كم كان مخيفاً بحق !!
لم تستطع أن تنكر أنه شغل تفكيرها بحق ، ولم تغب طلته المخيفة والمهيبة - في

ذات الوقت - عن عقلها للحظة ، فقد شعرت لوهلة أن به سحراً غامضاً قد أسرها وجعلها تقع فريسة في شباكه .. فحاولت هي أن تنفض عن تفكيرها تلك الأفكار ، وأقنعت نفسها بأنه فظ وقح يستحق ما ناله ، ولكن ظلت تطاردها تلك الأفكار عن شخصه الغامض ، ثم قررت أنتنهض عن الفراش ، و سحبت إحدى المناشف القطنية لتدلف إلى مرحاض غرفتها الصغير وتغتسل وبعد أن انتهت ، دلفت خارج المرحاض وهي ملتفة بالمنشفة ، ثم اقتربت من خزانة ملابسها الصغيرة ، وفتحتها ، ثم جابت بعينيها سريعاً بين فساتينها المتدلية والمعدودة لتنتقي لنفسها فستاناً أخر من اللون الأزرقالسماوي ، والذي يقارب زرقة عينيها ...
ارتدت هي هذا الفستان البسيط في تصميمه وتفاصيله، والذي حاكته لها والدتها قبل فترة .. ثم مشطت شعرها بهدوء أمام المرآة .. تأملت سيدرا عينيها المنتفختين وأنفها المتورم من كثرة البكاء ، وحاولت جاهدة أن تخفي أثارهم بمساحيق التجميل ..
لقد نجحت هي نوعاً ما في أن تجعل وجهها الشاحب طبيعياً ، ثم سارت ناحية فراشها ، وقامت بترتيبه وهي تفكر في طريقة ما لإخبار جدها وجدتها بما فعلته ..
تعلم أنها ستتلقى اللوم والتوبيخ على تهورها ، ولكن لا داعي لإخفاء ما فعلته عنهما ، فهي لا تريد أن يسوء الوضع أكثر من هذا ويتفاجئا لاحقاً بما فعلته ...
أخذت سيدرا نفساً عميقاً ، ثم زفرته ببطء ، ونظرت إلى هيئتها مرة أخيرة في المرآة قبل أن تتجه إلى باب غرفتها ..
ثم دلفت خارج الغرفة ونظرت حولها فلم تجد والدتها أو أختها الصغرى في غرفتها ، فتوجهت للدرج ونزلت للأسفل لتتفاجيء

بجميع أفراد عائلتها مجتمعين في غرفة الصالون ، ومعهم شخص غريب يتحدث بصوت رجولي هامس وآجش
عقدت سيدرا حاجبيها في حيرة ، و..
-سيدرا متسائلة بخفوت : من هذا يا ترى ؟
دلفت سيدرا إلى داخل غرفة الصالون ، وعلى وجهها ابتسامة زائفة ليختفي شبح تلك الابتسامة حينما وجدت سليم جالساً على الأريكة القديمة بكل هيبة وبرود واضعاً ساقاً فوق الأخـرى ..
جحظت عينيها في صدمة ، ونظرت إلى أفراد عائلتها بتوجس شديد ، ولكنها لم تنبس بكلمة ، لقد أيقنت سيدرا أن سليم قد أخبر عائلتها بما فعلته معه في الصباح الباكر ، وأنه موجود هنا للانتقام منها ومن عائلتها ، ولكنها ارتبكت حينما أنزل ساقه ، واعتدل في جلسته وكأنه جلاد الموت ينتظر إشارة الانقضاض على ضحيته التالية ببرود قاس..
رمقها سليم بعينيه الرماديتين بنظرات شيطانية متوعدة رغم أن ملامحه العامة كانت خالية من التعبير ، ثم نهض فجأة عن الأريكة ، واستدار برأسه في اتجاه الجد حمدان و...
-سليم بفتور مخيف : هذا عرضي الأخير ، وسأنتظر ردك عليه مساءاً
تسمرت سيدرا في مكانها ، وحاولت أن تستوعب بعقلها ما الذي يرمي إليه بكلماته المقتضبة عن عرض أخير ، ورد ينتظره ..
في نفس الوقت ســار سليم في اتجاه سيدرا التي حبست أنفاسها ، وشحب لون وجهها مجدداً بشكل غير عادي، ثم وقف قبالتها لثوانٍ ، وحدق فيها بنظرات خطفت أنفاسها بحق ، نظرات لو نطقت لقالت أن الجحيم بعينه في انتظارها .. ثم أشـاح بوجهه بعيداً عنها ، ليسير في اتجاه باب المنزل بخطوات

مغترة أثارت خوفها وجنونها في نفس الوقت ، فتابعته هي بعينيها إلى أن اختفى عن ناظريها تماماً ، فشردت لوهلة تحاول إيجاد تفسير لما حدث توأ ...
صفع سليم الباب من خلفه بقوة لتنتفض سيدرا خيفة في مكانها وتعود إلى أرض الواقع بعد أن سرحت في هيئته ، وتفيق من شرودها هذا ، وتنظر حولها لتجد جدها مطرق لرأسه في حزن ، وجدتها تستند برأسها على ساعدها في إنكسار، ووالدتها تتنهد في آسى مرير ..
-سيدرا بنظرات حائرة ، وبصوت مرتبك خائف وحائر: م ... ما الأمر ؟؟
زفـــر الجد حمدان في حزن عميق ، ثم رفع بصره قليلاً لينظر إلى سيدرا بنظرات منكسرة ، ثم أردف بـ ...
-الجد حمدان بنبرة ذليلة : لقد عرض السيد سليم أن يتزوجكِ في مقابل التنازل عن الدين.
-سيدرا بنظرات مشدوهة ، وهي فاغرة شفتيها : ماذا ؟؟!!!!!
شردت سيدرا فيما قاله جدها ، وظنت في البداية أنها نجحت في خطف أنظاره كما فعل هو معها ، وانها بشجاعتها – أي مواجهتها له - قد حركت رجولته نحوها ، فأعجب بها ويشغفها بعائلتها ، فأرادها له .. فابتسمت عفوياً ، ولكن حينما أعـــاد الجد حمدان على مسامعهاما قاله ، وركزت في كل كلمة قالها ، اختفت ابتسامتها تماماً ، وذبلت ملامح وجهها أكثر ، حيث أدركت أنه قد بدأ انتقامه الفعلي منها ، فهو يريدها لنفسه فقط لكي يحني إرادتها ، لكي يُهينها ، ويجعلها تعاني الويلات معه ، لكي يلقنها ما عجز عن تلقينه لها وهي تقف أمامه ، وليس كما ظنت أنه يريدها لأنها استطاعت أن تسلب عقله ، وتخطف قلبه بشخصيتها

الفريدة والقوية ، لقد نجح سليم في مساومة عائلتها بحق .. فهي الآن أمام خيارين إما أن تقبل بعرض زواجه وتستعد للجحيم المنتظر معه ، أو ترفض وتعاني من الضياع والتشرد مع عائلتها الضعيفة ..
يالهما من خيارين ، أقلهما ضرراً سيهلكها لا محـــالة ، وهي فقط من عليها الاختيار ، وتحديد مصائر الجميع!

....

انتهى الفصل
روايات قصيرة تصدر حصرياً عن قلوب أحلام
منتديات روايتي الثقافية

الفصل الخامس



خيّم الحزن على عائلة سيدرا ، فقد إنقلب حــال تلك الأسرة الصغيرة رأساً على عقب ، ومن بيدها الخيار الآن هي سيدرا ..

لم يجرؤ أحــد على الحديث معها ، فهي صاحبة القرار ، وطوال اليوم ظلت هي قابعة في غرفتها ، تفكر في مصيرها ومصير عائلتها .. فحريتها في كفة ، وحياة عائلتها بأسرها في الكفة الأخــرى ..

ضمت سيدرا ساقيها إلى صدرها ، وإستندت برأسها على ركبتيها وهي عاقدة لكفي يدها أمام ساقيها ، وظلت تنظر أمامها بأعين فارغة شاردة لا تعرف ما تخبئه لها الأيــام

ثم سمعت صوت طرقــات خفيفة على باب غرفتها ، فاستدارت برأسها ناحية الباب ، ثم

-سيدرا بصوت متحشرج ومبحوح : تفضل

أدير مقبض الباب لتطل الصغيرة سيلين برأسها منه ، فتبتسم لها سيدرا بنصف ابتسامة قبل أن تدلف كلياً إلى الداخل ..

سارت سيلين ناحية فراش أختها ، وظلت ترمقها بنظراتها البريئة ..
ثم أشـارت لها سيدرا بعينيها لكي تصعد إلى الفراش ، وتجلس إلى جوارها ..
تمددت الصغيرة إلى جوار أختها ، ثم مـالت برأسها ناحيتها لتستند على ذراعها و..
-سيلين بنبرة طفولية حزينة : هل حقاً سنطرد من منزلنا هذا ؟
ابتلعت سيدرا ريقها المليء بمرارة الذل والخزي ، ونظرت إلى أختها بعينيها الدامعتين ، ولم تعقب ..
أعادت سيلين تكرار سؤالها على مسامع أختها ، وتلك المرة تنهدت بآسى وهي تردف بـ ..
-سيدرا بنبرة حزينة ، ونظرات منكسرة : لن أسمح بحدوث مكروه لكم .. فأنتم عائلتي الوحيدة
-سيلين متسائلة بفضول : وكيف ستمنعنين حدوث هذا؟

تنهدت سيدرا في امتعاض ، ورمقت أختها الصغرى بنظرات حانية ، ثم أرخت قبضتيها عن ساقيها المثنية لتحتضن أختها بحنان بالغ وتضمها إلى صدرها ..
لقد اتخذت القرار ، فهي لن تسمح بضياع مستقبل عائلتها ، ولا بأن يصيروا مشردين بعد ذلك العمـر .. بلى ستخسر حريتها في مقابل استقرار عائلتها .. لقد حـان الوقت لكي تضحي من أجل عائلتها ..
نهضت سيدرا عن الفراش ، وكذلك فعلت سيلين ، ثم مدت كفها الرقيق لتمسك بكف أختها الصغير وسارت كلتاهما ناحية باب الغرفة ..
دلفت الاثنتين إلى خـارج الغرفة ، وتوجهتا ناحية الدرج ، ثم نزلتا عليه لتجدا الجدة مريام جالسة وهي مقطبة لجبينها ، وعابسة الوجـه .. زفرت سيدرا في انزعـاج ، ثم مالت على أختها الصغرى وهمست لها في أذنها

بشيء لتوميء الصغيرة لها برأسها ، ومن ثم تركتها ورحلت ..
ثم سارت هي في اتجاه جدتها إلى أن وقفت قبالتها وهي جالسة على الأريكة ، ثم جثت على ركبتيها ، واستندت برأسها على حجر جدتها ، و..
-سيدرا بصوت خافت وحزين : أنا موافقة جدتي
فغرت الجدة مريام شفتيها في صدمة ، واتسعت عينيها في اندهاش وذهول ، وإزداد وميض عينيها ، كما إزداد انعقاد حاجبيها و..
-الجدة مريام بنبرة متعجبة ، ونظرات متسعة : ماذا تقولين ؟
-سيدرا متابعة بنفس النبرة المريرة: أنا موافقة على عرض الزواج ، أبلغي ابن السيد خالد بموافقتي
-الجدة مريام بنبرة منزعجة : لا بُنيتي ، لا تقحمي نفسك في تلك المسألة ، سوف نجد بديلاً عما قريب
-سيدرا بنبرة متصلبة ، ونظرات حادة : جدتي هذا قراري الأخير ، أنا موافقة ، ولن أتراجع عنه ..
-الجدة مريام بتذمر : ولكن ..
-سيدرا مقاطعة بجدية : جدتي ، هذه هي حياتي ، وأظن أن السيد سليم مصمم على الزواج بي ، وإلا ما كان قد كلف نفسه العناء لكي يطلبني للزواج
مدت الجدة مريام يديها لتمسك برأس سيدرا وترفعها لكي تنظر إلى عينيها الزرقاوتين و..
-الجدة مريام بنبرة حزينة : ولكنه قايضنا بك .. الدين مقابل حريتك ، وأنا لا يمكنني أن أفعل هذا بك حبيبتي
وضعت سيدرا يدها على راحة يد الجدة مريام المجعدة ، ثم أسندت رأسها على كفها

وظلت تمسح بوجهها عليه ، ثم أغمضت عينيها و...

-سيدرا بخفوت وبنبرة متلعثمة وهي تبتلع ريقها بمرارة : ولكني .. آآ.. أحبه

-الجدة مريام متسائلة بذهول : ماذا ؟

لقد إدعت سيدرا كذباً أنها تحب سليم حتى تتمكن من إقناع جدتها برغبتها في الزواج منه ، وأوهمتها أنها قد عقدت معه هذا الاتفاق من أجل أن يظفر هو بها ، وتظفر هي بحبه ... ورغم أن حديثها كان مرتباً ومنمقاً إلا أن الجدة مريام لم تكن بالمرأة الساذجة .. لقد أدركت أن حفيدتها اختارت أن تضحي بحياتها من أجل انقاذ عائلتها من براثن التشرد والفقر .. ظلت سيدرا تلح على جدتها، وتكرر على مسامعها موافقتها بهذا العرض المغري للزواج ..

-الجدة مريام بنبرة معترضة : وكيف يعقل أن تتزوجا لأشهر معدودة ؟؟

ارتبكت سيدرا أمام جدتها ، وتغيرت ملامح وجهها للتوتر ، و...

-سيدرا بنبرة متلعثمة : إنه شرط زائف جدتي حتى نتمكن من إقناعكم بالزواج

-الجدة مريام بنبرة ضائقة : هذا غير مقبول بالمرة

-سيدرا بنبرة عنيدة : جدتي ، لأجلي وافقي ، فأنا أحبه حقاً ..

وفي النهاية اضطرت الجدة مريام أن ترضخ لإلحــاح حفيدتها ، وتبارك تلك الزيجة .. ثم زفرت سيدرا في ارتياح بعد أن نجحت في اقناع جدتها ، ثم نهضت عن الأرضية الخشبية لتكمل مهمتها في إبلاغ باقي أفراد العائلة بموافقتها على عرض الزواج ، ورغم ملامح الحزن البادية على وجهها ، إلا أنها حاولت أن ترسم ابتسامة زائفة على شفتيها.

....

جن جنون هيثم حينما علم بما فعله رفيقه ،

وعقده لتلك المقايضة البغيضة مع عائلة الجد حمدان و..

-هيثم وهو يزمجر بحدة : كيف يمكن أن تفعل هذا ؟ أنت حقاً فقدت عقلك

-سليم ببرود مستفز ، ونظرات قاسية : لقد اتخذت قراري ، فلا داعي لحديثك هذا

-هيثم بنبرة منفعلة ، ونظرات معاتبة : وما ذنب تلك الفتاة ، وعائلتها البائسة لتجعلهم جميعاً يعانون ؟!

-سليم بغضب هادر ، ونظرات حانقة : ذنبهم أنهم فلاحون ..!

-هيثم بحنق : أنت مجنون !

-سليم بنفس الانفعال الجلي : لستُ بمجنون ، ولكن ها قد سنحت ليَ الفرصة لكي أنتقم من هؤلاء الحمقى

-هيثم محذراً بنبرة قوية : لا تجعل الغضب يعميك ، فأنت في حالة لا تسمح ب ..آآآ...

-سليم مقاطعاً بقسوة : انتهى الأمر ، فلا داعي للجدال معي.

قاطع جدالهما القوي صوت طرقات على باب غرفة المكتب ، فتوجه سليم إليه لكي يفتحه ، فرأى المربية سوسن وهي مطرقة الرأس تقف أمام الباب و..

-سوسن بخفوت : هناك من يرغب في رؤيتك سيدي

-سليم متسائلاً بنبرة متشنجة : من ؟

-سوسن بإيجاز : إنه الجد حمدان ..!

لوى سليم فمه في تهكم ، ثم أشار لمربيته بعينيه لكي تنصرف ، و...

-سليم بلهجة آمرة : أخبريه أن ينتظر خارج بيتي .

ثم أغلق باب الغرفة في وجهها ، وعاد ليجلس على مقعد مكتبه الوثير ، ويعلو ثغره ابتسامة شيطانية ..

في حين ارتسمت علامات الضيق الجلية على وجه هيثم ، فهو يدرك أن سليم يُلقي

بنفسه في التهلكة دون إكتراث ، ولن يكف أبداً عن تدمير الأخرين فقط بسبب عُقد الماضي ..

....

انتظر الجد حمدان لفترة أمام باب ذلك المنزل الكبير ورأسه محني من الخزي والخذلان ، فهو لم يستطعْ أن يحمي عائلته كما ينبغي ، وفجـأة رأى من يطل عليه من الباب وهو واضع لكلتا يديه في جيبي بنطاله الرصاصي ، فرفع رأسه لينظر إليه ، فوجده السيد سليم الذي كان يرمقه بنظرات الاحتقار ..

أوجـز الجد حمدان في كلماته ، وأبلغه بموافقة حفيدته على عرض الزواج ، فابتسم سليم في غرور و...

-سليم متسائلاً بنبرة مليئة بالإهانة : وأين هي ؟ ما لي لا أراها معك ؟ أم هي تظن أنها عروساً بحق !!

ابتلع الجد حمدان الإهانة على مضض ، ثم

-الجد حمدان بنبرة مخزية : كنت أظن أنك ستأتي معي لكي تصطحبها و..آآآ..

-سليم بنبرة متعجرفة : أنا لا أصطحب الخدم ..!

مجدداً ابتلع الجد الإهانة ، ولكنه لم يعقب .. بل فـرت من مقلته عبرة آسفة على حـاله ، ثم ..

-سليم متابعاً بقسوة : قل لحفيدتك أن تأتي إلى هنا بمفردها ، وأنا سأتكفل بالبقية

نظر الجد حمدان إليه بنظرات منكسرة ، ثم هز رأسه في عدم فهم و...

-الجد حمدان بنبرة مخذولة : ماذا تقصد ؟

-سليم بنبرة مستفزة ، ونظرات إزدراء : أقصد أني سأتزوج حفيدتك بدون وجود أي أحد منكم

-الجد حمدان بنظرات مصدومة، وهو فاغر فمه في ذهول : كيف هذا ؟؟؟

-سليم ببرود قاسي : هذا هو الحال مع أمثالكم .
ثم رفع يده أمامه في الهواء و...
-سليم مضيفاً بنبرة جافة ، ونظرات قاتلة : أخبرها أن تأتي بعد ساعة ، وإلا .. أنت تعرف النهاية مسبقاً ، فلا داعي للمماطلة ..!
ثم تركه واقفاً يتخبط في حاله ، ودلف إلى داخل منزله ، وهو متيقن أنه قد نجح في الظفر بأول معارك إذلال هؤلاء الفلاحين ..

....

عاد الجد حمدان إلى منزله ورأسه مشحون بالحزن والأسف ، لا يعرف كيف سيخبر عائلته بما آمره به سليم ، ولكن هذا هو الحال .. لقد قضي الأمر وانتهى المطاف بحفيدته لكي تصير خادمة في منزل ذو القلب المتحجر ..
تأسف الجميع على حال سيدرا والتي أبت أن تذرف دمعة إشفاق واحدة على حالها ، بل تعهدت لنفسها بأن تجعل ذلك المتعجرف القاسي يعاني الأمرين معها .. توجهت بعد ذلك إلى غرفتها ، ثم أفرغت بعضاً من ملابسها الموضوعة في الخزانة بداخل حقيبة سفر جلدية ، وأحكمت غلقها ..
كانت سيدرا تقاوم عبراتها التي تكافح للانهمار من عينيها ، ودلفت إلى المرحاض الملحق بغرفتها من أجل غسل وجهها ، وتبديل ثيابها بفستانها الأرجواني ..
بعد عدة دقائق قضتها بالداخل ، دلفت هي خارج المرحاض وقد نجحت في رسم قناع البرود على وجهها المرهق من كثرة البكاء والحزن ، ثم أمسكت بحقيبة سفرها وحملتها بكف يدها ، ودلفت إلى خارج غرفتها بعد أن ألقت نظرة أخيرة على محتوياتها.. ودعت سيدرا جميع أفراد عائلتها الذين لم يكفوا للحظة عن البكاء بحرقة ، ولكنها على قدر الإمكان حاولت

أن تتماسك أمامهم وتبدو قوية على الرغم من أنها كانت مدمرة نفسياً من داخلها .. ثم حملت حالها ، واتجهت ناحية باب المنزل ، وخرجت منه وهي رافعة رأسها للسماء ، لقد أقسمت لنفسها ألا تجعل رأسها ينحني مهما كلفها الأمـر ..

ثم سـارت بضعة خطوات للأمـام ، ولكنها توقفت على إثر صوت صراخ أختها الصغرى العالي بـ ...

-سيلين ببكاء صـارخ : سيدرا ، لا ترحلي أرجوكِ

استدارت سيدرا بجسدها للخلف ، ثم انحنت للأسفل قليلاً لتترك حقيبتها على الأرض ، ومن ثم فتحت ذراعيها لتركض الصغيرة سيلين نحوها ، وترتمي في أحضانها ، فتضمها هي بحنو إلى صدرها قد جثت على ركبتيها و...

-سيدرا بنبرة مريرة وهي مغمضة لعينيها : لا تقلقي حلوتي ، فأنا سأعود عما قريب

-سيلين بنبرة طفولية باكية : لا ، أنتِ تكذبين ، سوف ترحلين للأبد

-سيدرا وهو تبتلع تلك الغصة المريرة في حلقها : بل سأعود ، وأنا أعدك بهذا ...!!!!

ثم أبعدت الصغيرة عنها ، ونهضت عن الأرض لتقف على قدميها ، ثم سـارت بكل كبرياء نحو الطريق ..

وقفت الجدة مريام بجوار شرفة المنزل وهي تبكي فراق حفيدتها ، في حين لم تكف ريحانة عن الانتحاب وهي ترى ابنتها تفني شبابها مع انسان بغيض وقاسٍ كهذا فقط من أجل إنقاذ عائلتها من مذلة الدين .. أما حـال الجد حمدان لم يختلف عنهما كثيراً ، فهو يلوم نفسه لأنه قد تسبب فيما حدث لحفيدته ، وحـاول أن يفكر في طريقة ما لتدبير قيمة الدين ، ولكن عقله يأبى الانصياع إليه ، وكأنه قد توقف عن

التفكير تماماً وصار عاجزاً ..

....

وقـف سليم أمام نافذة منزله ينتظر قدوم تلك المتكبرة التي سيلقنها درساً لن تنساه أبداً في حياتها ، لقد أحضر بالفعل من سيتولى توثيق تلك الزيجة ، بالإضافة إلى الشهود على عقد الزواج ، وأعدت المربية سوسن غرفة الصالون من أجل هذا الاتفاق .. بينما رفض هيثم أن يكون مشاركاً في تلك الجريمة – كما أسماها ، وآثر الرحيل بعد أن احتدم جداله مع رفيقه ..
لمح سليم طيف شخص ما يقترب من بعيد ، فحدق فيه جيداً محاولاً معرفته ، وأمعن النظر هو مضيق لعينيه ، وحينما اقترب ذلك الطيف من المنزل ابتسم في تشفي حينما وجد أنها سيدرا ..
ورغم أنها كانت تشعر بالخزي والانكسار بداخلها ، إلا أن رأسها كان مرفوعاً في شموخ كالجبال .. لقد سـارت بخطوات واثقة ثابتة نحو باب منزله الضخم ، وأقنعت نفسها بأنها لن تصبح لقمة سائغة له ..

....

تـحرك سليم من امـام النافذة ، وتوجه ناحية باب المنزل لكي يكون في استقبالها ، فهو يريد أن يرى نظرات الانكسـار في عينيها ، يريد أن يتلذذ بإخضاعها ، وكسر إرادتها ..
فتح سليم الباب وتحرك خطوتين للأمام ، ثم وقف عاقداً ساعديه أمام صدره - وعلى وجهه علامات الغرور الممزوجة بالتشفي واضحة – ليراها بوضوح ، وظل يرمقها بنظرات احتقـار ...
توقفت سيدرا على بعد خطوات معدودة منه ، ولم تحيد ببصرها عنه ، بل على العكس كانت تنظر إليه بعينيها الزرقاوتين اللامعتين ، و بادلته نظرات التوعد الممزوجة

بالبغض.
كانت لحظة اللقاء بينهما متوترة للغاية ، فكلاهما متربص بالآخـر ، ولم ينبس أحدهما بكلمة .. بل كان حديث النظرات هو أقـوى حديث ..
ثم قاطع ذلك الصمت القاتل صوت المربية سوسن الذي أتى من الخلف بـ ...
-سوسن بنبرة خافتة ومألوفة : تفضلي بنيتي ، الجميع في انتظارك
انتبه كلاهما إلى صوتها ، ونظرا ناحيتها ، ثم تحركت سيدرا بكل كبرياء وشموخ إلى الأمـام ، ورغم أن قلبها كان يخفق بشدة من الرعب والخوف ، إلا أنها بدت متماسكة للغاية أمامه ..
راقب سليم حركاتها كالصياد الذي يترقب فريسته من أجل اصطيادها في لحظة مناسبة وماهي إلا لحظات حتى بدأت مراسم ذلك الزواج الذي زعم سليم بأنه مشروط ولمدة محددة ، ولكن كانت الحقيقة غير هذا ..
فقد استغل هو سذاجة هؤلاء البسطاء في إيهامهم بأن زواجه من سيدرا سينتهي بعد فترة قصيرة ، ولكنه كان عقد زواج أبدي..
أعطى أحد الأشخاص قلماً من الحبر إلى سيدرا وطلب منها أن توقع على وثيقة الزواج.
أمسكت سيدرا بالقلم ويدها كانت ترتعش إلى حد ما ، وظلت توزع نظرها ما بين وثيقة الزواج ، وبين نظرات سليم الشرسة ..
ترددت هي للحظة في إكمـال ما إنتوت عليه ، ولكن مر ببالها طائف ما قد يصير بعائلتها إن امتنعت عن الزواج من هذا القاسي ، ورفضت عرضه المغري ..
وفي النهاية حسمت أمرها بالتوقيع ، وبالفعل خطت بيدها حروف تنازلها عن حريتها تحت مسمى الزواج ، ومع كل حـرف كانت تكتبه ، كانت ابتسامة سليم تزداد شراسة ، وعينيه تتسعان في قساوة .. فقد كانت

تظن أنها ستفقد حريتها لأشهر معدودة ، ولكنها غفلت عن قراءة عقد الزواج .. وأكملت توقيعها دون أن تقرأ أي من بنوده .. ثم وقع هو الأخر على وثيقة تنازله عن الدين ، وأعطاها إليها وهو يرمقها بنظرات متفرسة ..

استعد المتواجدين بمنزل سليم للانصراف بعد أن تم كل شيء في هدوء ، وظل هو ملازماً إياهم ومتحدثاً معهم في بعض الأمور ، في حين اقتربت المربية سوسن من سيدرا التي كانت تجلس منكمشة على نفسها في تلك الأريكة الثمينة ، ومالت عليها بجسدها قليلاً و..

-سوسن بخفوت : تعالي معي بُنيتي لكي أريكِ غرفتك

التفتت سيدرا برأسها ناحية تلك المربية الوقور ، ونظرت إليها بنظرات ثابتة و..

-سيدرا بنبرة أقرب للهمس : شكراً لكِ ، ولكني لن أتحرك من هنا

-سوسن بهدوء : أرجوكِ صغيرتي ، لا تعاندي ، فأنا هنا لمساعدتك

-سيدرا بتبرم : لا أريد أي مساعدة من أحد ، فأنا قادرة على آآ...

لم تكمل سيدرا عبارتها الأخيرة حيث وجدت سليم واقفاً بطوله الفاره قبالتها بعد أن ودع ضيوفه للخارج ، فتوجست خيفة منه ، وبدأ قلبها يخفق مجدداً من الرعب .. ثم ابتلعت ريقها في توتر ، ونظرت إليه بنظرات شبه خائفة.

أشار هو بعينيه الرماديتين للمربية سوسن بالانصراف ، فإمتثلت بهدوء لأمره ، وتركت كلاهما معاً ..

مال سليم بجذعه على سيدرا الجالسة على الأريكة ، ثم استند بكلا ذراعيه على حافتيها ، وحاصر سيدرا بينهما و...

-سليم بنبرة مخيفة ومتوعدة ، ونظرات

فارغة من الحياة ؛ الآن ستعرفين المعنى الحقيقي للعذاب ، وستتمنين الموت ولكنك لن تحصلي عليه......!!!

انتهى الفصل
روايات قصيرة تصدر حصرياً عن قلوب أحلام
منتديات روايتي الثقافية

الفصل السادس



ورغم أنها كانت ترتعد من داخلها إلا أنها لم تردّ أن تبدو أمامه ضعيفة مهزومة ، حيث استجمعت سيدرا شجاعتها ، ورمقت سليم بنظرات متحدية لا تعرف للانكســار عنوان ، و...

-سيدرا بنبرة واثقة وقوية : لن تحني إرادتي أبداً ، فأنا لستُ لقمة سائغة لأمثالك ، بل أنا سيدرا .. !

لــوى سليم فمه في تهكم ، ثم رمقها بنظرات استخفاف ، و...

-سليم بنبرة مهينة : الفلاحة البغيضة ...!!!

لم تتحمل سيدرا تلك الإهانة ، فقامت برفع يدها عالياً في الهواء ، وهوت بها على وجهه لتصفعه مرة ثانية ، فتحولت عينيه إلى جمرتين من النيران ، وتبدلت ملامحه فوراً إلى ملامح شخص مخيف ، مرعب ، قاتل ..

لقد تفاجئت به يمد يده ليضعها على شعرها ، ثم جذبها بقسوة منه ليجعلها تنهض عنوة

من على الأريكة.
فصرخت هي عالياً وبعنف من شدة الألم ، وحاولت أن تخلص شعرها من براثن أصابعه ، وإنهالت عليه بالسباب اللاذع ...
كاد سليم أن يقتلع شعرها من جذوره وهو يجرها جراً على الأرضية العتيقة ، في حين ظلت هي تتأوه صارخة بعنف من الألم ،
ورغم أن المربية سوسن قد ركضت نحوها لكي تخلصها منه إلا أنها عجزت عن إبعادها عنه ، فقد تحول فجأة إلى شيطان لا رحمة في قلبه ولا حتى شفقة ..
أرخى سليم قبضة يده عن شعرها ، ثم إنحنى بجذعه للأسفل لكي يمسكها من كلا ذراعيها ، وتعمد أن يغرس أظافره فيهما ليؤلمها أكثر ، ومن ثم رفعها عن الأرض ، وأمسكها بذراعيه وكاد يعتصرها بضغطه على عظامها ، ثم سار بها نحو قبو المنزل ..
وقفت المربية سوسن في مكانها مشدوهة من كل ما يحدث ، فقد كان الأمر أكبر من طاقتها على التحمل ، وقررت أن تتصرف فوراً ، وألا تترك تلك المسكينة تعاني من ذنب لم ترتكبه ، لذا توجهت ناحية باب المنزل ، وركضت مسرعة للخارج من اجل طلب العون من رفيقه الأستاذ هيثم لعله يردعه عما ينتوي فعله بتلك البريئة ..

....

أدخل سليم سيدرا في غرفة جانبية بعيدة وموجودة في أخر الرواق بقبو منزله ، والتي كانت تستخدم قديماً كغرفة للغسيل ،
وأوصد الباب خلف كلاهما ، ثم دفعها بعنف ناحية الحائط لترتطم رأسها به ، وتسقط على الأرضية وتبدأ الدماء في النزيف من مقدمة رأسها.
الرعب الحقيقي قد بدأ حينما استدارت سيدرا برأسها ناحيته لتجده يخلع حزامه الجلدي ويلفه لعدة مرات حول كف يده ،

فتحولت نظراتها الباكية إلى نظرات فزعة ، وانكمشت على نفسها أكثر ، وضمت ساقيها إلى صدرها ، وحاولت أن تزحف بجسدها للخلف مبتعدة عنه ..
لقد تحول سليم فجأة إلى شخص أخر ، لقد أصبح أقرب إلى الجلاد منه إلى الشخص الطبيعي المتعجرف والقاسي ، و كان مع كل خطوة يقترب فيها منها ، تموت هي في نفسها رعباً ألف مرة ..
شهقت سيدرا عالياً وصرخت فيه أن يتركها لحالها ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، فهي اليوم قد وقعت في الأسر ، وأصبحت الفريسة والضحية ..
تعالى صدرها وهبط في فزع ، وتلاحقت أنفاسها بشدة ، وتصبب العرق أنهاراً منها ، ورغم هذا تمالكت من أجل أن تنجو بنفسها. لقد حاولت أن تحتمي ببعض الأثاث المتهالك ، ولكن لم يستطع أي شيء ان يقف في طريق بركان غضبه الذي انفجر ثائراً عليها ..
مدت سيدرا أصابع يدها لكي تمسك ما تطاله ، ومن ثم تقذفه في اتجاهه لكي تعيقه عن التقدم نحوها ، ولكنه كان بمهارة يتفادى ما تلقيه إلى أن حاصرها في أحد الزوايا بالغرفة .. وهنا بدأت مرحلة العنف الجسدي ..
لم تتوقع سيدرا أن ينهال سليم بالضرب المبرح عليها ، لقد تعمد أن يركلها بقدمه بشدة في أنحاء جسدها محدثاً كدمات زرقاء متفرقة على بشرتها البيضاء .. أصبحت عظامها تأن من الآلم الموجع ، و ظلت صرخاتها تصدح في أرجاء المكان راجية إياه أن يكف عما يفعل ، ولكنه كان كالمُغيب ، يركلها بلا رحمة ، ويضربها بلا هوادة ويجلدها بسوطه دون أن تطرف عينيه.
أغمضت سيدرا عينيها ، واستسلمت لمصيرها

وتمنت لو يتوقف هذا الألم المستمر حتى تستريح وتلتقط أنفاسها ، ولكن طلبها البسيط هذا كان صعب المنال بالنسبة لها .. وظل العذاب ممتداً ..

ثم لعب الشيطان في رأسه ، ووسوس له بأن يجعلها تعاني أكثر وأكثر ، حيث قرر أن يذبحها وينال منها ما يجعلها تكره معشر الرجـال بأسرهم .. وهنا بدأت مرحلة الإيذاء النفسي ..

لقد زين له الشيطان أن يغتصب زوجته ، ويأخذ حقه منها رغماً عنها ، وبالفعل اندفع كالثور الهائج ناحيتها ، وأخذ يمزق ملابسها ، ويحاول تقبيلها بعنف .. لم تستطع هي أن تتحمل ملامسته إياها ، أو حتى قربه منها ، لقد تقززت منه ، وحاولت إبعاده عنها ، بل إنها قاومته بما تبقى لديها من قوة ، ولكن للأسف كانت عاجزة أمام قوته الهائلة ، والتي كانت في إزدياد مستمر ..

ثبت سليم ذراعي سيدرا على الأرضية الباردة والمغطاة بالأتربة ، وظلت هي تتلوى أسفله محاولة تخليص نفسها و...

-سيدرا بصراخ وبنبرة مبحوحة : ابتعد عني ، لا تلمسني

-سليم وهو يجز على أسنانه بنبرة شرسة : أنتِ لي ، ولن أتركك إلا بعدما أنال منك ما أريده

-سيدرا بنبرة متوسلة ومختنقة من البكاء المرير : أرجوك ، لا تفعل هذا بي ، لا ...!

لم يصغ سليم إليها ، بل إنه قرب ذراعيها من بعضهما البعض ، ثم أمسك بمعصميها بقبضة يد واحدة وثبتهما أعلى رأسها .. وبيده الأخرى عبث في أنحـاء جسدها محدثاً آلماً أكبر فيها .. و لم يتركها إلا بعدما فـرغ تماماً منها ، وأشبع رغبته الشيطانية فيها ، وأذاقها آلاماً فوق الآلام .. ثم نهض مبتعداً عنها ، ووقف ينظر إليها وهو يمسح

عرقه بظهر ساعده ..
سكنت سيدرا تماماً ، واصبحت كالجسد الخاوي لا حياة فيها ، ولا روح .. فهو لم يغتصب جسدها فقط ، بل روحها أيضاً ..
ثم توقف سليم عما يفعل حينما وجد رفيقه هيثم قد اقتحم الغرفة بعد أن كسر بابها .. حيث وقف مشدوهاً غير مصدقاً لما رأته عيناه .. لقد وقعت جريمة اعتداء وحشية هنا ، وممن ، إنها من رفيقه الوحيد ..
لم يتحمل هيثم المنظر ، فأمسك بسليم من ذراعيه ، وأبعده عن سيدرا ، ثم جـره إلى خـــارج الغرفة جراً وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة ...
ركضت المربية سوسن في رعب ناحية سيدرا ، وجثت على ركبتيها ، ثم شهقت في فزع حينما رأت حالتها ، وأدركت ما الذي حدث معها .. فالأمـر لا يحتاج إلى تفسير ، لقد تم ضربها بوحشية واغتصابها بلا إنسانية أو هوادة .. ثم مدت كلتا يديها نحوها ، وربتت على ظهرها وكتفيها ، وحاولت إفاقتها ، ولكنها كانت قد فقدت الوعي بالفعل .. وبدى صوت أنفاسها ضعيفاً للغاية ، فتوجست خيفة أن تكون تلك الفتاة على مشـارف الموت ..
تأسفت المربية سوسن على حال تلك المسكينة كثيراً ، فهي لم تفعل ما يستوجب تعرضها لذلك الآذى البدني والنفسي ، فجريمتها الوحيدة أنها وقفت ضد سليم من أجل عائلتها ....

....

دفـع هيثم رفيقه الغاضب سليم إلى داخل غرفة المكتب ، ولم يكف عن توبيخه ولومه على فعلته الشنعاء ، ولكن كان رد سليم مستفزاً وقاسياً .. مما زاد من حنق هيثم و...
-هيثم بغضب هــادر : أتظن نفسك رجلاً

بتطاولك على تلك الضعيفة واعتداءك عليها ؟؟؟
-سليم بقسوة : إنها تستحق الرجم
-هيثم متسائلاً بغضب : لماذا ؟
-سليم بنبرة صادحة وهو يشير بيده : لأنها سرقت مني حياتي ، دمرت أسرتي ، عذبت والدتي ، تركتنا جميعاً نعاني
قطب هيثم جبينه ، وعقد كلا حاجبيه في اندهاش شديد ، ثم رمقه بنظرات حانقة و....
-هيثم متسائلاً بضيق جلي : عمن تتكلم ؟؟
ثم توجه ناحيته ووضع قبضتي يده على ذراعيه ، وبدأ يهزه بعنف و...
-هيثم بنبرة عالية : أفق يا سليم إنها زوجتك سيدرا ، وليست عشيقة والدك ، أفق .... !!!!
-سليم فاغراً شفتيه : هـــه .. ماذا تقول ؟
وكـــأن سليم قد عاد لتوه من ماضٍ بعيد ، من ذكريات آليمة ، فنظر إلى رفيقه بنظرات غير فاهمة لما يحدث ..
لقد أدرك تواً جُرم ما فعل ، وحماقة تصرفاته ..
-سليم بصدمة كبيرة : يا إلهي ، ماذا فعل ؟!

....

ركضت المربية سوسن بخطواتها البطيئة إلى خـــارج تلك الغرفة القديمة ، وتوجهت إلى المطبخ لتحضر كوباً من المياه ، ثم عـــادت مجدداً إليها ، وجلست على الأرض إلى جوارها ، وبدأت في نثر المياه على وجهها ، فإستجابت سيدرا لها ، وشهقت وهي تستفيق ، ولكنها لم تفتح عينيها بعد ..
تنفست المربية سوسن الصعداء حينما وجدتها تتنفس بإنتظام بعد أن ظنت أنها على شفير الموت ، ثم مسدت على شعرها المموج برفق ، وظلت تهمس في أذنها بكلمات مطمئنة كي يكف جسدها عن

الارتعاش ..
بعد عدة دقائق ، فتحت سيدرا عينيها ، ولكن كانت هناك غشاوة على عينيها ، فلم تلمح سوى طيف امرأة ما بجوارها ..
مالت المربية سوسن برأسها على سيدرا ، و..
-سوسن هامسة بنبرة دافئة : صغيرتي ، هل تسمعيني ؟
تأوهت سيدرا من الآلم ، وبدأ أنينها في العلو تدريجياً .. فأدمعت عيني المربية سوسن إشفاقاً عليها ورحمة بها ، ثم مدت يدها وأمسكت بكف يد سيدرا ، وربتت عليه و..
-سوسن بخفوت : أنا هنا لمساعدتك ، لا تخافي بُنيتي !
ظلت سيدرا تنتحب ، ولم تكفّ عينيها عن ذرف الدموع ، فقد كان الآلم أكبر من قدرتها على التحمل ، ثم طلبت المربية سوسن منها أن تحاول التحامل على نفسها ، وتنهض حتى تسندها وتخرجها من تلك الغرفة المظلمة .. وبالفعل استجابت سيدرا بعد عناء لطلب المربية سوسن ، وجاهدت من أجل أن تقف على ساقيها ..
تأملت المربية هيئة سيدرا ، حيث كان وجهها متورماً من أسفل عينيها ، وهناك كدمة بارزة أعلى جبينها ، أما أنفها فقد كان ينزف ، وشفتيها ملطختان ببعض قطرات الدمـاء المتجلطة .. ناهيك عن ذكر ما أصيب به باقي جسدها من آثار الضرب والاعتداء .. بالإضافة إلى قطرات الدماء التي لطخت فستانها من الأسفل نتيجة الاعتداء عليها بدون إرادتها ...
كانت سيدرا تعرج في خطواتها وهي مستندة بذراعها على كتف المربية سوسن التي أحاطتها من خصرها ، وحاولت ألا تفلتها ، ثم سارت كلتاهما بخطوات بطيئة للغاية عبر ذلك الرواق المظلم ، ومع كل خطوة كانت تخطوها سيدرا ، كان الآلم يسيطر أكثر

عليها ..
لم يتوقف هيثم عن لـــوم سليم عما فعله ، ثم وقف قبالته ، ورمقه بنظراته القوية و..
-هيثم بنبرة منزعجة : لقد ارتكبت حماقة يا سليم ، كدت أن تودي بحياة تلك البريئة !
-سليم بنبرة غاضبة ، ونظرات فارغة : هي من دفعتني للجنون
-هيثم بحدية وهو يشير بيده : بل أنت من تهور عليها بشراسة !
زفـــر سليم في ضيق ، ثم وضع كلتا يديه في داخل جيبي بنطاله ، واستدار بجسده ليولي رفيقه ظهره ، ثم ...
-سليم بإقتضاب : كفانا حديث ، لقد تعبت
-هيثم وهو يجز على أسنانه من الحنق : حسناً سأتوقف ، ولكن ماذا عن زوجتك ؟
التفت سليم برأسه للخلف ليرمق رفيقه بنظرات جادة و...

-سليم متسائلاً بعدم فهم : ماذا عنها ؟
تحرك هيثم خطوتين للأمــام حتى وقف في مواجهته ، و...
-هيثم بجدية : هل ستتركها على حالتها تلك ؟؟ أم ستتجاهلها ؟؟
صمت هيثم للحظة ، ثم عــاود حديثه بـ ...
-هيثم محذراً بنبرة متشنجة : إذا علم أحد من أهلها بما فعلته معها ، فلا تلومن إلا نفسك ، نصيحتي لك أن تأخذ زوجتك وتبتعد بها عن هنا قبل أن يعلم أي أحد بجريمتك ..
زفـــر سليم مجدداً ، وأخرج يديه من جيبي بنطاله ، ثم ضرب الحائط بقوة بكف يده ، و...
-سليم بتبرم : حسناً .. سأتصرف
بعد عنـــاء ، وصلت كلاً من المربية سوسن وسيدرا إلى ردهة المنزل ، حيث لمحت الأخيرة انعكاس صورتها في المرآة ، ورأت

حطام نفسها ، وإنكسار روحها ، فذرفت الدموع بلا توقف .. وهنا ربتت المربية على ظهرها محاولة التهوين عليها .. وطلبت منها أن تسير مجدداً معها ..

ثم توقفت الاثنتين فجأة عن الحركة حينما وجدتا سليم قد ظهر من العدم أمامهما ، ورغم أن سيدرا كانت تتأوه بشدة من آلام جسدها ، إلا أنها أزاحت يد المربية بعيداً عنها ، وحاولت أن تتحرر من ذراعها الأخـر المحيط بخصرها لتتراجع بخطوات متعثرة للخلف وهي تصرخ عالياً ..

انتفضت المربية سوسن فزعاً في مكانها حينما رأت كيف أوصـل عنف ابن سيدها تلك الفتاة لتصبح كالجدباء لمجرد رؤيته أمامها.. تحرك سليم في اتجاه سيدرا ، وطلب منها أن تتوقف ، ولكنها آبت أن تصغي إليه ، وظلت تستند بيديها على الحوائط حتى لا تسقط على الأرضية الصلبة ، وجابت بنصف عين المكان محاولة إيجاد المهرب ، ولكن كان الطريق مسدوداً أمامها ، ولم يعد أمامها سوى الشرفة ..

-سليم بنبرة صادحة وآمـرة : توقفي عن الحركة

-سيدرا صارخة عالياً : النجدة ، هو يريد قتلي ، أغيثوني ..

دلف هيثم خــارج غرفة المكتب على إثر الصراخ الحاد ليجد سيدرا تحاول الفرار من شرفة المنزل ، فركض هو الأخــر ناحيتها ، وحاول أن يمنعها من الهرب ، ولكن كان سليم الأسـرع في الوصول إليها ، ثم أمسك بها من ذراعيها ، وظل يهزها بعنف لكي تكف عن الصراخ ، فحدقت هي به بنظرات مزعورة ، وارتعش جسدها بالكامل وهي بين ذراعيه ، وفجـأة انهارت تماماً أمامه ، وإنقطعت أنفاسها ، وارتخى جسدها كلياً ، وخــارت قواها ، وأغمضت عينيها لتسلم

نفسها لمصيرها .... الموت ببقائها معه ...
أمسك بها سليم جيداً بكلا ذراعيه ،
وأحاطها بشدة حتى لا تسقط منه ، وتأمل
وجهها المتورم الذي سقط عفوياً للخلف ،
ورأى العروق البارزة التي تنبض من عنقها
الطويل ، ثم لمح أثار السجحات وعلامات
حزامه الجلدي على ذراعيها وصدرها وكتفها
، فإمتعض وجهه واكفهر ، وضاقت عينيه ،
وعبست ملامحه أكثر ...
بلى .. في تلك اللحظة شعر سليم بأن
هناك آلماً حاداً يعتصر قلبه ، وأن مرارة
شديدة تجتاح حلقه الذي جف فجأة ... فقد
رأى بعينيه المجردتين نتيجة عصبيته
المفرطة ، ورأى ما أحدثته يداه وقدماه من
كدمات ورضوض على تلك الضعيفة التي
إنهارت فوراً أمام بطشه ، ولم يرحمها هو رغم
توسلاته إليه ..
انحنى سليم بجذعه للأسفل قليلاً بعد أن
أحاط سيدرا من ظهرها ، ثم وضع ذراعه
الأخر أسفل ركبتيها ، وحملها بين ذراعيه ،
وسار بها إلى خارج المنزل ...
أوقف هيثم السيارة أمام مدخل المنزل ، ثم
ترجل منها ، وفتح باب المقعد الخلفي لكي
يضع سليم زوجته عليه بعد أن فقدت الوعي
، ثم أغلق الباب بهدوء ، وجلس في المقعد
الأمامي خلف المقود ..
أصرت المربية سوسن على الذهاب معهما
حتى لا تترك سيدرا بمفردها معه ، فينفرد
هو بها مجدداً ، ويكرر فعلته النكراء معها
.. فهي اعتبرتها كابنتها التي لم تلدها ، ولن
تتركها تعاني مرة أخرى حتى لو كلفها
الأمر وظيفتها ، أو حتى حياتها ..
فتحت المربية سوسن صندوق السيارة ، ثم
وضعت فيه حقيبة سفرها ، بالإضافة
لحقيبة سيدرا الجلدية ، ثم أغلقته ،
وسارت مسرعة في اتجاه المقعد الخلفي ،

ومن ثم فتحت الباب وصعدت على متن السيارة ، ومدت ذراعيها لتمسك بسيدرا ، وضمتها إلى صدرها ، وأسندت رأسها على كتفها ، وظلت تمسد بيدها على شعرها بحنو أم تفتقد لشعور الأمومة ...

ضغط سليم على دواسة البنزين لتنطلق السيارة وتشق طريقها حيث ينتظر ثلاثتهم الكثير والكثير.

....

انتهى الفصل

روايات قصيرة تصدر حصرياً عن قلوب أحلام

منتديات روايتي الثقافية

الفصل السابع



عمَل سليم بنصيحة رفيقه المقرب هيثم ، وقرر أن يرحل فوراً مع سيدرا ومربيته عن الضيعة ، ثم توجه بهما إلى المدينة ..

وطوال الطريق فكر سليم – وهو يقود السيارة - في الطريقة التي سيبلغ بها والدته عن مسألة زواجه من تلك الفلاحة ، ولكنه لم يجد أي سبب مقنع كفيل بأن يجعل والدته توافق على تلك الزيجة أو حتى تباركها ، لقد كان شاغله الأكبر هو كيفية تبرير ما أحدثه فيها من إعتداء بدني ونفسي ، فقد خشي أن تشتكيه للشرطة ، وبالتالي يتعرض للملاحقة القانونية .. لقد أدرك أنه أوقع نفسه في مصيبة كبرى ..

ظل يضرب لأكثر من مرة على المقود بعصبية وهو يقود السيارة ، في حين كانت تتابعه المربية سوسن بتوجس شديد ، وضمت سيدرا إلى صدرها أكثر ...

بعد مرور بعض الوقت كان سليم قد هدأ إلى حد ما ، وبين الحين والأخـــر كان يختلس النظرات - عبر مرآة سيارته الأمامية- لينظر إلى سيدرا النائمة على كتف المربية سوسن بنظرات غريبة .. لا يعرف ما الذي يجذبه لكي يتابعها وهي ساكنة مستكينة كالحمل الوديع .. ربما لأنه لم يراها من قبل عن كثب ، ولم يلاحظ جمالها الطبيعي ، هناك شيء ما بتلك الفتاة يأسره ، شيء ما يجعله يتعذب لأنه قد أذاها بدون تردد ، ورغم هذا فقد كان مستمعاً بقربه منها .. ثم لمح نظرات المربية سوسن له والتي كانت تحمل الكثير من العتاب إليه ، وتذكره بجريمته .. فاضطر أن يبعد ناظريه عنهما ، وينظر للطريق أمــامه ...

....

لم يكف عقل سليم عن التفكير للحظة في حل لتلك المعضلة ، فهو أمام خيارين إما أن يتعرض للمساءلة القانونية إذا ما اشتكت عليه زوجته وقالت أنه اعتدى جسدياً عليها وسوف تثبت التقارير الطبية هذا ، وبالتالي سيتعرض للسجن ، والاحتمال الأكبر لخسارة ترخيص عمله كمحام مرموق .. ناهيك عن تبري عائلته منه ورفضهم لتلك الزيجة الغير متكافئة أما الخيار الأخر ربما يكون غير مقبول لسيدرا ، ولكنه الأسلم لكليهما .. ففي النهاية سيبتعد كلاهما عن الأخـــر ، وستحصل سيدرا على حريتها .. وهذا ما سيدفعها للقبول به ..

لقد توصل سليم إلى فكرة شبه معقولة – من وجهة نظره –لكي يسردها على والدته ، حيث قرر أن يبلغها بأن تلك الفتاة التي معه هي ابنة المربية سوسن ، وأنها جاءت للعمل معها في قصرها الكبير بالمدينة لبعض الوقت ، ومن ثم ستعود إلى ضيعتها بعد ذلك .. وفي المقابل سيطلق سيدرا ويعطيها

مقابل مادي بالإضافة إلى الالتزام بإعفاء عائلتها من سداد الدين كما اتفق معهم مسبقاً .. أقنع سليم نفسه أن هذا الخيار هو الأصوب والأقرب للتنفيذ ، ولن يكلفه إلا القليل من المـال ، وبعض الكلام الذي يحمل التهديد والوعيد لكي يضمن تنفيذه .. وبالفعل اتفق مع المربية سوسن على أن تدعي أنها والدة سيدرا ، وهددها بخسارة وظيفتها وربما السجن وملاحقتها قضائياً إن قالت غير هذا ، فرضخت المربية لطلبه حيث ظنت أنها ستحمي سيدرا منه حتى لو بالكذب حتى تنتهي تلك المهلة المشروطة في عقد الزواج المزعوم والذي لم تكن تعرف هي الأخـرى شيئاً عن حقيقة كونه زواجاً أبدياً موثقاً.

بعد عـدة ساعات من القيادة على الطريق ، توقف سليم بسيارته أمام بوابة حديدية ضخمة مزدانة بالزجاج الغير شفاف ، حيث

يوجد خلفها قصر ضخم ذي ألوان فاتحة تسر الناظرين ، تنهدت المربية سوسن في قلق ، فهي لم تطيء بقدميها ذلك القصر منذ سنون طويلة .. وتوجست خيفة أن يُعاد مع سيدرا ما جـرى معها قبل زمن سحيق ...

بلى لقد كانت المربية سوسن هي تلك الفلاحة التي عشقها السيد خـالد ، ولكنها رفضت أن تتزوجه حرصاً منها على استقرار اسرته ، ورغم أنه أصر على الارتباط بها بعد أن انفصل عن زوجته كوثروالتي كشفت خيانتها له مع أحد رفاقه ، إلا أنها رفضت أن تبني حياتها على حطام غيرها ، وأثرت أن تظل عزباء حتى أخـر يوم في عمرها ، واكتفت بأن تكون إلى جوار السيد خـالد كخادمته ، وليست كزوجته التي أحبها بجنون فقط من اجله ومن أجل ابنه الوحيد ، حتى لا يُصدم مرتين في أمه وأبيه ..

تعهدت المربية سوسن في نفسها أن تخفي

حقائق وأسـرار الماضي حتى لا يضطر السيد خـالد إلى كشف حقيقة زوجته الزانية أمام ابنه الوحيد فينهار تماماً ، وخاصة أنه كان يعشق والدته ، ويكن لها الإحترام الشديد ، فكيف تسمح هي لتلك الصورة المثالية بأن تنهار محدثة فجوة عظمى في حياته قد تنعكس عليه مستقبلاً ..
وطوال أعوام مضت ، كانت هي الخادمة الوفية لرب عملها ، ولم تكف يوماً عن رعايته وتلبية طلباته ، لذا كان السيد خـالد حريصاً على قضاء معظم وقته في الضيعة ، في منزله العتيق هناك ، لكي يكون برفقتها حتى لو كانت هي فقط أمام الجميع خادمته المخلصة .. وليست زوجته الوفية، رمقت المربية سوسن القصر بنظرات متفحصة لما فيه ، وانقبض قلبها وهي تستعيد تلك الذكريات القاسية في عقلها ، و....

-سوسن لنفسها في شجن : لم يتغير هذا المكان أبداً .. مازال الحزن مخيماً عليه

....

أصـر سليم على الدخـول إلى القصر من بوابته الخلفية حتى يتمكن من انزال سيدرا وحملها دون أن تراه والدته أو أي أحد أخـر .. وبالفعل بعد أن أوقف السيارة أمام باب الخدم الخلفي ، ترجل هو من السيارة ، ثم دار حولها ، وترك الفرصة للمربية سوسن بالنزول أولاً ، ثم انحنى بجسده إلى داخل السيارة حتى يتمكن من وضع ذراعيه أسفل جسد سيدرا لكي يتمكن من حملها ..
أرشدته المربية سوسن إلى الطريق داخل القصر ، ثم أشارت له بيدها نحو غرفتها القديمة بقبو القصر ، و...
-سوسن بنبرة جافة وهي تشير بيدها : من هنا سيدي ..
ثم نزل سليم على الدرج الرخامي وهو حاملاً

إياها للأسفل ، وتوجه بها إلى غرفة مربيته القديمة ، ثم وضع سيدرا بكل رفق على الفراش ، ودثرها جيداً ، ثم رمقها بنظرات متفحصة وهو مُنحني على رأسها ، وأزاح بيده خصلة كانت منسدلة على جبينها ، وتحجب عنه رؤية وجهها ، ولكنه تألم في نفسه حينما رأى أثار جريمته متجلية على وجهها ، فكور قبضة يده في امتعاض ، وظل يعتصرها بشدة ، فإخترقت أظافره راحة يده ، وجرحتها بشدة إلى أن أدرك هذا ، ثم اعتدل في وقفته ، وقبل أن يبتعد عنها أصابه الفضول أن يتلمس بأطراف أصابعه بشرتها ، ولكنه خشي أن يلمسها فيزداد شعوره بالندم والخزي على ما فعل ، فهو لا يستحق أن ينالها بعد الذي كان .. فقاوم بشدة رغبته تلك ، وسار راكضاً ، ومبتعداً إلى خارج الغرفة ..

أحضرت لاحقاً المربية سوسن الحقيبتين ، ووضعتهما بداخل الغرفة ، وأوصدت الباب على سيدرا حتى لا يدلف أحد إلى الداخل وهي غير موجودة معها ، وبالتالي تبدأ التساؤلات حول هويتها دون أن تخبرها بالإتفاق الذي عقدته مع سليم ...

....

تفقد سليم القصر فوجده خاوياً إلا من الخدم ، وحينما سأل عن والدته أبلغته إحدى الخادمات أنها في رحلة قصيرة مع زوجها ، فاكفهر وجهه ، وقطب جبينه في تأفف ، ثم تركها وانصرف في اتجاه الدرج ، ثم أمسك بالدرابزون وصعد عليه لكي يتجه إلى غرفته الموجودة بالطابق العلوي ..

فتح سليم باب غرفته ، ثم توجه ناحية فراشه ليلقي بجسده المرهق عليه ، ثم استدار بجسده ليحدق في سقفية الغرفة وهو يتنهد في انزعاج ..

-سليم لنفسه بنبرة ضائقة : لماذا يحدث

كل هذا لي ؟ لماذا لا أجد السكينة في حياتي ؟؟ يا الله !
ثم نهض عن فراشه ، وتوجه ناحية المرحاض بعد أن نزع قميصه وألقاه على الأرض ليمسك بمنشفته القطنية ، ومن ثم صفع الباب خلفه بحدة ليغتسل بالماء البارد لعل جسده المشتعل يهدأ قليلاً ...

....

حـــل المساء وسيدرا مازالت غائبة عن الوعي ، والمربية سوسن جالسة إلى جوارها تراقبها وتهتم بها ، ثم مدت يدها لتمسك بقطعة من القماش لتبدأ في تطريزها بالخيوط اللامعة والملونة لتشغل وقتها الطويل ..
تبادلت بعض الخادمات الأحاديث الجانبية عن ابنة المربية سوسن والتي تعمدت إخبارهن بأنها مريضة حتى تتجنب فضولهن في رؤيتها ..

....

لم يطقْ سليم البقاء في القصر لمدة طويلة ، وخاصة أن عقله لم يكف عن التفكير في سيدرا ، وما فعله بها .. لذا قرر العودة إلى مكتبه ، وقضاء ليلته هناك ... وفي حالة شعوره بالضجر ربما سيذهب إلى أحد النوادي وقضاء باقي السهرة مع رفيقاته لعله يجد السلوى في وجوده معهن .....

....

مــرت عدة أيام ، والوضع على حاله ... فسليم يأتي ويذهب دون أن يتحدث مع مربيته أو أي أحد بالمنزل حتى الخدم ، ويكتفي فقط بالنوم ليلاً في القصر بداخل غرفته – هذا إن جاء مبكراً ، في حين أنه كان يقضي معظم وقته بالخـارج إما في المكتب أو في النادي مع رفاقه ، ورغم أن الفضول كاد يقتله لمعرفة ما الذي صـار بسيدرا إلا أنه كان يتعمد تجنب اللقاء بها حتى لو مصادفة كي لا يزداد عذاب الضمير معه ..

ولكن كان مسعاه هذا دون جدوى ، فيوماً عن الأخـر يزداد تعلقاً بها ، واشتياقاً إليها ، فلم يغب عن عقله لوهلة نظرات عينيها المزعورة وهي تتوسل إليه كي يرحمها ، ولم يكف أيضاً عن تذكير نفسه بأنها جاءته طوعاً ، فإغتصبها قسراً .. لم يهنىء هو للحظة ، فعذابه يزداد ، وقلبه يشتعل ، بل إنه يكاد يخرج من بين ضلوعه قهراً وكمداً عليها ..

أما عن حـال سيدرا فلم يختلف كثيراً ، فقد كانت معظم الوقت راقدة في الفراش ، ترفض الحياة ، مستسلمة لرغبتها في الموت ، مما دفع المربية سوسن للاستعانة بطبيب متخصص للكشف عليها ، ولمداوتها ، وظلت هي عاكفة على رعايتها ، والاهتمام بصحتها إلى أن بدأت تتماثل للشفاء ، وتستجيب للحياة بعد جهد مضني في رعايتها

....

كانت سيدرا بين الحين والأخـر تسمع صوت سليم يأتي من الخـارج ، فيرتجف جسدها وترتعش بشدة ، ثم تضم ساقيها إلى صدرها ، وتتكور على نفسها محاولة الاختباء منه ، لقد باتت تخشاه أكثر من أي شخص .. فقد نجح في أن يحفر في ذاكرتها ذكريات آليمة لا يمكن أن تُمحى بسهولة من مخيلتها .. وأصبحت الدموع هي رفيقتها ، لقد ذابت زرقة عينيها مع حمـرة مقلتيها .. ولم يعد وجهها مشرقاً كما كانت من قبل .. واختفت الابتسامة العذبة من على شفتيها لتحل محلهما قسمات الانكسار والخزي .. وعلى قدر الإمكان حاولت المربية سوسن أن تهون عليها ، وتعزي حالها بالكلام الطيب .. فشعرت نوعاً ما بأنها تزيح عنها هموماً كالجبال..

تأكدت الخادمات أن ابنة المربية سوسن تعاني من مرض ما لأنها لم تظهر أبداً لهن ،

وترفض بإصرار الخروج من غرفتها رغم سماعهن لصوتها ، فبدأن في إختلاق القصص عنها ... بينما ظلت تبرر لهن المربية سوسن سبب عزلتها بأنها تعاني من حساسية بالصدر تستلزم بقائها حبيسة غرفتها لأشهر ، وأنها قد جاءت للقصر من اجل تلقي العلاج في المدينة ، حيث عجز الأطباء في ضيعتهم الفقيرة عن علاجها ....

....

وبعد أيام أخرى ، التقت المربية سوسن مصادفة بسليم وهو ينزل عن الدرج متوجها إلى مكتبه .. فأشاحت بوجهها بعيداً عنه ، وسارت عدة خطوات للأمام ، وادعت أنها مشغولة بتنظيف غرفة الصالون ..
تردد هو في سؤالها عن سيدرا ، فقد خشي أن ينفضح أمره إذا ما استرق أحدهم السمع لحديثهما .. ولكنه استجمع شجاعته ، وقرر أن يسألها .. تفاجئت المربية سوسن بأن سليم يقف خلفها ، و..
-سوسن بتوجس : هل هناك شيء ما سيدي ؟
-سليم بنبرة متلعثمة ، ونظرات زائغة : أنا .. أنا أريد أن أسألك عن .. عن سيدرا ، كيف حالها ؟ و.. وأين هي ؟
شعرت المربية سوسن أن حلقها قد جف فجأة ، وأن الكلمات قد هربت من على طرف لسانها ، وارتبكت أمامه بشدة ، ولكنها سيطرت بسرعة على حالتها الانفعالية ، و حاولت أن تختلق على عجالة أي قصة ما لكي تتجنب أن يلتقي بسيدرا فيحدث لها ما لا يُحمد عقباه ، وخاصة أن الطبيب قد أوصاها أن يجعلها تبتعد عن أي ضغوط نفسية كي تتحسن حالتها للأفضل ...
لذا تعمدت أن تبلغه بأن سيدرا قد هربت من القصر فور أن تماثلت للشفاء ، و...
-سوسن بنبرة حزن زائفة : وللأسف لم أعرف لها أي مكان

-سليم بنبرة مصدومة وغاضبة ، ونظرات مشدوهة : وكيف حدث هذا ؟؟ أين كنتِ حينما هربت ؟؟
-سوسن بتعلثم : آ.. لقد باغتتني ، ولم أظن أنها قادرة على فعل هذا
لم يصدق سليم أذنيه حينما علم بمسألة هروب سيدرا ، فترك المربية سوسن وانصرف وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة ..
-سوسن بخفوت وهي تتابعه بعينها : هذا أسلم لها ولك سيدي ، فأنا لا أريد أن أراها تعاني مجدداً

....

في صباح اليوم التالي ، عـادت السيدة كوثر إلى القصر بمفردها ، وتفاجئت بوجود المربية سوسن به ، فامتعض وجهها ، وعاملتها بطريقة فظة وفجة للغاية .. ثم أخبرتها إحدى الخادمات- أثناء وجودها في غرفة نومها- بأن المربية ليست بمفردها ، وإنما معها ابنتها المريضة والتي تدعى سيدرا و...
-كوثر بنبرة متأففة ومتهكمة : لقد تحول القصر إلى ملجأ للمشردين في غيابي
-الخادمة بنبرة خافتة : بلى سيدتي ، ولكنك أتيت الآن .. فبماذا تأمريني ؟
-كوثر بنبرة متعالية ، ونظرات متكبرة : اذهبي الآن ، فأنا لا أريد أي شيء
-الخادمة بخفوت وهي منحنو الظهر : حاضر سيدتي ..
وما إن انصرفت الخادمة حتى نهضت السيدة كوثر عن مقعدها الوثير الموجود بغرفتها - وذي اللون الأحمر القاني – وسـارت بخطوات غاضبة نحو باب غرفتها ، ثم وقفت بجوار الدرج ، واستندت بكفي يدها عليه و...
-كوثر بنبرة عالية وآمـرة : سوسن .. اصعدي إليّ حالاً ..!
كانت المربية سوسن في تلك الأثناء منشغلة بترتيب وتنظيف غرفة المكتب

الموجودة بالطابق السفلي ، وما إن سمعت صوت السيدة الغاضب حتى انتفضت فزعة في مكانها ، وركضت مسرعة خارج الغرفة ، وكادت تتعثر في خطواتها وتسقط على وجهها ، ولكنها تمالكت نفسها ، ثم اتجهت إلى الدرج وصعدت عليه وهي تلهث بصعوبة إلى أن توقفت أمام باب غرفة السيدة كوثر ، فأخذت نفساً عميقاً ، ثم زفره على مهل ، هي تعلم أن وجودها بالقصرغير مرغوب فيه ، خاصة وأنها من كشفت خيانتها للسيد خالد ، ولكن ليس باليد حيلة .. عليها أن تواجهها ، وأن تبدو أمامها ذليلة منكسرة .. فقط من أجل المسكينة سيدرا ، حتى تمثل للشفاء ، وتنتهي مدة عقد الزواج ، فتأخذها وترحل مبتعدة عن هذا المكان ..

أخذت المربية سوسن نفساً مطولاً ، وزفرته على عجالة ، ثم طرقت الباب وانتظرت أن يأتيها السماح من الداخل لكي تدخل ..

طأطأت رأسها وهي تدلف للغرفة و..

-سوسن بخفوت : مساء الخير سيدتي كوثر ، أحمدالله على رؤيتك سالمة ، و بخير

رمقتها السيدة كوثر بنظرات استعلاء ، فهي لم تسترح لها يوماً ، وكانت متيقنة من أنها هي التي تسبب في كشف حقيقتها لزوجها الأسبق خالد ، ثم رمقتها بنظرات استهجان قبل أن تردف بـ ...

-كوثر بنبرة غاضبة : كيف تسمحي لنفسك بإحضار ابنتك إلى هنا دون إذن مني ؟؟!

-سوسن بنبرة متلعثمة : أنا .. أنا

-كوثر بنبرة هادرة ، ونظرات احتقارية : أنتِ خادمة في هذا القصر ، ولستِ بسيدته لكي تأتي بمن تشائين وقتما تريدين ..!!!

-سوسن بحزن : أنا أسفة سيدتي .. ولكن ابنتي مريضة وآآ...

رفعت السيدة كوثر يدها في وجه المربية

سوسن لكي تصمت ، ثم ..
-كوثر بحدة : اغربي عن وجهي الآن ، فأنا أبغض سماع صوتك الكريه ، وإياكي أن تجعلي ابنتك تعبث في قصري ، وإلا ..
-سوسن بنبرة مرتعشة : لا تخافي سيدتي ، فابنتي قعيدة الفراش ، لا تقوَ على شيء ، وقريباً سأرسلها للضيعة ..
-كوثر بتهكم صريح ، ونظرات شماتة : يا ليت الموت يأخذ كلتاكما فأرتاح للأبد .. !
ابتلعت المربية سوسن مرارة الإهانة ، وقاومت عبراتها ، ثم سارت بخطوات بطيئة للخلف ، ودلفت إلى خارج الغرفة وهي تسبها بخفوت شديد .. في حين عاد السيدة كوثر للجلوس على مقعدها الوثير مجدداً لتمسك بمجلة ما لكي تقرأ ما بها ...

....

غاب سليم عن القصر لأيام أخرى ، حيث ظل جالساً مع والده في المشفى لكي يراه ، ومنه يذهب إلى عمله إلى أن أصبحت حالته الصحية أفضل نوعاً ما فقرر أن يعود للقصر .. وهناك عرف بعودة والدته إلى القصر ، فارتسمت علامات السعادة على وجهه ، وتنهد في ارتياح ، فقد افتقد وجودها لفترة ، وشعر أن الفرصة قد جاءت له لكي يبوح لها بما يكنه في صدره من أحزان ... لذا بكل حماس توجه إلى غرفة والدته لكي يلقي عليها التحية ويجلس معها ، ثم توقف أمام باب غرفتها ، وقبل أن يمسك بالمقبض ليديره فيُفتح الباب ، تسمر في مكانه ، فقد سمع دون قصد منه حديث فاضح بينها وبين أحد الأشخاص عبر الهاتف ...
ظن في البداية أنه زوجها الحالي ، ولكن اخترق أذنيه اسم شخص أخر ، وتعالت ضحكاتها الرقيعة وهي تبادله كلمات الغزل الصريحة ، وما ألجم لسانه وعقده بحق هو سردها بأريحية تامة عن جرائمها في

الماضي وتفاخرها بدهائها الأنثوي ، لقد تباهت بخيانتها لأبيه ، وارتباطها بغيره ، ومن ثم علاقتها الغير شرعية حالياً بمن تهاتفه ، واتفاقها معه على الخلاص من زوجها الحالي من اجل الزواج به ... اسود وجه سليم ، وتحولت عينيه لجمرتين من النيران ، واشتعلت خلايا جسده بالغضب الجم ... لقد حاول جاهداً أن يكظم غيظه ، ويسيطر على عصبيته ، فأخر مرة تهور بها كاد أن يودي بحياة انسانة بريئة ..

ثم قرر أن يبتعد عن غرفتها ، وألا يقابلها حتى لا يتشاجر معها ، ويعنفها على أفعالها المشينة ، فقد صُدم فيها صدمة كبيرة ، وشعر أن الصورة المثالية التي كانت دائماً موضوعة لها قد إنهارت في لحظة .. فقد باتت الحقيقة عارية تماماً أمامه ..

دلف سليم إلى داخل غرفته ، وحاول أن يقتنع نفسه بأن ما سمعه هي مجرد أوهام ، ولكن

تردد صدى كلمات وضحكات والدته في عقله ، فقاوم بشدة تلك الأصوات ، ولكنها كانت في إزدياد ، ثم طاف بعقله نواياها الخبيثة مع زوجها الحالي ، فتملكته العصبية الشديدة ، ولم يعد قادراً على التحكم في إنفعالاته .. فاندفع كالوحش الكاسر في داخل غرفته يمسك بما تطاله يديه ويحطمه ، ثم ألقى بمحتويات الغرفة على الأرضية الصلبة ، وحطم زجاج المرآة ، وثارت ثائرته ، ثم خرج راكضاً من غرفته ، وقفز على الدرج تاركاً القصر وهو في حالة لا يُحسد عليها.

انتهى الفصل

الجزء الأول من سلسلة سنابل الحب

الفصل الثامن



تملكت الدهشة السيدة كوثر بعد معرفتها بمسألة غياب ابنها عن القصر ، وحاولت أن تتصل به ، أو حتى تتواصل معه ، ولكنها فشلت ، ولم تعرف له أي طريق .. فقد اختفى فجأة ، وأصيبت هي بالضيق والانزعاج ، وبدأت تصب جام غضبها على جميع من في قصرها ، وخاصة المربية سوسن والتي كانت تتجنب الالتقاء بها ..

غـــاب سليم لأسابيع عن القصر ، ولم يعد إليه ، فقد قرر أن يغادر المدينة ويعود إلى الضيعة التي كان يمقتها في الماضي ..

لم يعرف أي أحد بالضيعة عن مجيئه ، فقد جعل منزله كالمحبس ولكن بدون حراسة .. فقد آبى أن يخرج للنور ، أو أن يرى أي أحد لقد قضى ليالٍ طويلة وهو جالس بغرفة مكتب والده يُحاسب نفسه بشدة على ما ارتكب ، عاجزاً عن النوم ، غير قادراً على تناول الطعام .. لقد تحول إلى شخص أخر ..

شخص مهزوم مكسور من داخله .. فقد أصبح كل شيء متجسداً أمامه ، وبدأ هو في تجميع أطراف الخيوط معاً ، وربط أحداث الماضي بآلام الحاضر .. وأيقن أنه كان مخطئاً في حق والده ، ومجحفاً فيما فعله مع سيدرا ، وغافلاً عما فعلته والدته ..

ولأول مـرة في حياته بكى سليم كما لم يبكِ من قبل ، وخاصة حينما وقف أمام باب غرفة الغسيل ، فهنا كانت غرفة التعذيب لسيدرا ، هنا الغرفة التي اغتال فيها براءتها تحت اسم الزواج ، واغتصبها بدون أن تطرف عينيه ، أو يرتدع للحظة عما يفعل ..

ثم انهار على ركبتيه وهو يجهش بالبكاء ، ودفن رأسه بين راحتي يده ، نادماً آسفاً على ما اقترفته يداه ..

....

اختفت آثار الكدمات والرضوض من معظم جسد سيدرا ، وصارت حالتها الصحية أفضل من ذي قبل ، وعلى الرغم من أنها كانت قليلة الكلام إلا أنها كانت تستجيب لحديث المربية سوسن الدافيء معها ، فهي تذكرها بوالدتها ريحانة ، وجدتها العزيزة مريام ، وجدها الغالي حمدان ، وأختها الصغرى سيلين ، وبضيعتها الجميلة .. لقد كانت تجد الحنين إلى الماضي في حديثها الصافي ، فتتنهد في تلهف واشتياق ..

فكرت المربية سوسن في أن تجعل سيدرا تغادر الغرفة ، خاصة وأنها قد بقيت لأسابيع فيها لا ترى حتى أشعة الشمس ،

ولكن أثرت هي أن تظل قابعة بها ، محتمية بجدرانها ، وألا تتركها أبداً ريثما تنتهي المدة المتبقية من عقد الشؤم المسمى بالزواج.

اختنق سليم من وجوده بالضيعة ، وحسم أمره بإصلاح كل شيء ، حتى يحصل على السلام الذي ينشده ، وعلى النوم الذي جفاه

لذا ترك منزله ، وركب سيارته – ذات الدفع الرباعي – وقادها بسرعة جنونية نحو المدينة ..
وما إن وصل إلى هناك حتى قرر أن يزور والده الذي انقطع عن السؤال عنه لأيام .. فتوجه إليه في المشفى الراقد بها بعد أن تدهورت صحته ، وجلس إلى جواره على الفراش ، ثم أمسك بكف يده ، وربت عليه في حنان ، ثم رفعه إلى فمه ليقبله ، و...
-سليم بنبرة مختنقة : أبي .. أنا أفتقد وجودك بشدة .. الآن أعلم لماذا تركت أمي .. لقد ظلمتك والدي ..
ابتلع سليم تلك المرارة الواقفة في حلقه ، ثم تابع حديثه الحزين بـ ...
-سليم بنبرة منكسرة : لقد ظننت أنك على علاقة بفلاحة بغيضة ، ولكن أمي .. أنا أستحي أن أقول عنها أمي ، تلك المرأة خانتك ، وتخون زوجها الحالي ولا تهتم ..

كيف أناديها أمي ، وهي لا تستحق هذا اللقب ، كيف أبي ؟؟
حرك السيد خـالد كف يده بتمهل شديد ، والتفت برأسه ناحية ابنه ، ورمقه بنظرات أبوية دافئة و..
-خالد بنبرة ضعيفة : ابني ، لا تحمل نفسك الذنب ، هي الجانية ، ولست أنت ..
انتبه سليم إلى صوت أبيه ، فكفكف دموعه التي كانت متجمعة في مقلتيه ، و...
-سليم بنبرة متحمسة : أبي ، هل أنت بخير ؟ كنت .. كنت أظن أنك لا تسمعني
-خالد بخفوت : انا بخير ما دمت أنت بخير وعلى قدر مسئوليته كوالد ، اجتهد السيد خالد في التهوين عن ابنه ، وإقناعه بألا يسيء إلى والدته مهما فعلت، وذكره بما فعله هو حينما علم بخيانتها ، وكيف تصرف بعقلانية في أمرها ، فقط من أجله ..
لم يقتنع سليم بكلام والده ، فقد كان

متساهلاً ومتسامحاً معها ، وظن أن هذا ضعف منه ، على عكسه تماماً ، فقد كان يرغب في دك عنقها ، وتعذيبها كما عذبته هي منذ أن علم بحقيقتها ..
لقد كان يظنها الأم المثالية ، ولكنها كانت الزوجة الخائنة الزانية ..
امتص السيد خالد غضب ابنه ، وأوصاه ألا يرتكب أي حماقات تجعله يندم لاحقاً عليها ، فأطرق سليم رأسه في ذل ، و..
-سليم بنبرة حزينة : أبي .. لقد ارتكبت جريمة
-خالد بنبرة متوجسة : ماذا تعني ؟
سرد سليم لأبيه خالد عن كل ما مر به وما فعله منذ أسابيع مضت ، إلى أن انتهى به الأمر لارتكاب جريمته النكراء مع زوجته سيدرا ، فتفاجيء الأخير بما صار ، زواج ابنه ، ومسألة المقايضة البغيضة التي عقدها من أجل الانتقام من فتاة ما ، فوبخه بشدة على ما اقترف .. وأخبره أن الجد حمدان قد سدد الدين بإخلاصه له ورعايته لممتلكاته في غيابه لسنون دون أن يأخذ منه أي مقابل ...
أخفى سليم عن والده مسألة اغتصابه لزوجته حتى لا يسقط من عيني والده ، لقد شعر بالندم الشديد على ما فعل ، فهو قد تصرف برعونة رهيبة دون أن يراعي غيره ..
-خالد بنبرة جادة وخافتة : عليك أن تصحح أخطائك ، سليم !
تنهد سليم في أسف ، فهو يعلم أن ما هو مقبل عليه ليس بالأمر الهين ، وخاصة ما يتعلق بسيدرا .. ولكنه وعد والده بالالتزام فيما اتفق معه عليه ..

....

اضطر سليم أن يعود إلى القصر ليوفي بعهده الذي قطعه لوالده .. في البداية صف سيارته بجوار بوابة القصر ، ثم ترجل منها ، وبدأ

يسير بخطوات متريثة عبر الحديقة الملحقة بالقصر لكي يصل إلى بابه ، جاب ببصره المكان ، ولكنه تسمر في مكانه حينما رأى طيف سيدرا عبر النافذة الجانبية البعيدة ، فخفق قلبه بشدة ، وارتعدت فرائصه ..

ظن في البداية أنه يتوهم ما يراه ، ولكنه تأكد أنه لا يحلم حينما رآها تنفض شعرها المبتل في الهواء وبجوار النافذة ، فحدق أكثر بها ، ولم يرمش بعينيه ..

لم يخطر بباله أنها مازالت متواجدة بالقصر ، فقد اعتقد أنها رحلت منذ فترة ، ولكن على ما يبدو أن المربية سوسن قد خدعته وكذبت عليه بشأن وجودها ..

ثم اختفت سيدرا عن ناظريه ، فانقبض قلبه أكثر ، واقترب كالمجنون من النافذة التي كانت روحها تطل منها ، فوجدها موصدة ، والستائر منسدلة من خلفها لتحجب عنه الرؤية بوضوح ، ولكنه سمع صوتها يأتي من الداخل ليخترق أذنيه ، فتنفس الصعداء ، وشعرت بالارتياح ..

-سليم لنفسه بنبرة متلهفة : إذن ليس هذا حلماً ، إنها حقيقة ، فسيدرا موجودة هنا ، وإلى جواري .. يا الله ، كنت أظن أني فقدتها للأبد ، ولكنها مازالت هنا .. !

عقد سليم العزم على أن يُقابل سيدرا ويصحح أخطائه معها ، ولكن بعدما ينتهي من مسألة والدته ..

دلف سليم إلى داخل الفيلا ، فركضت الخادمة إلى السيدة كوثر لتبلغها بعودته ، والتي أسرعت في اتجاهه ، واستقبلته بحرارة شديدة ، ثم اصطحبته بعد ذلك إلى غرفتها ، وجلست إلى جواره على مقعدها الوثير ..

وبدأت في السؤال عن أحواله ، فكان يجيبها باقتضاب وإيجاز .. لاحظت السيدة كوثر تغير ابنها ، فاعتقدت أنه واقع في الغرام مع

ابنة رفيقتها ، وأن حالته الغير معتادة تلك بسبب العشق والهيام ..
تطرق سليم لحديثه الجاد مع والدته ، و سألها عن زوجها ، فتبدلت ملامح وجهها للضيق و...
-كوثر بإيجاز : مازال لديه بعض العمل الذي لم ينجز بعد
مط سليم شفتيه في عدم اقتناع ، ثم ..
-سليم بعدم اكتراث : لا يهم .. فشأنه لا يعنيني
-كوثر بنبرة معترضة : ولكنه زوجي ، وفي مقام والدك وآآآ..
-سليم مقاطعاً بغضب : ليس والدي ، فمن فضلك أمي ، لا ترددي على مسامعي تلك الترهات ، فقد مللت منها
زفـرت كوثر في انزعـاج لأنها تدرك أن مجادلتها معه لن تأتي بأي نتائج مرجوة ، لذا استدارت بظهرها للخلف ، ثم سـارت في اتجاه خزانة ملابسها ، و...
-كوثر بنبرة شبه فرحة : لقد أحضرتك لك هدية سوف تعجبك كثيراً
-سليم وهو يعقد حاجبيه في استغراب ، وبنبرة حائرة : هدية ماذا ؟
-كوثر مبتسمة في لؤم : إنها هدية ستعجب رفيقتك ، لقد أخبرتني اسمها من قبل
ثم صمتت للحظة لتفكر في أمـر ما ، وبعدها أردفت بـ ..
-كوثر بنبرة خبيثة ، ونظرات متفحصة : أظن أنها ريفان
لـوى سليم ثغره في استخفاف ، وأشاح بوجهه للناحية الأخـرى ولم يعقب ، بينما اقتربت هي منه إلى أن وقفت بجواره ، ثم تابعت هي بـ ..
-كوثر بنبرة خافتة أشبه للفحيح : اعلم أنك تقضي معظم وقتك معها ، وأنها تعجبك ، لذا فكرت في أن أقرب بينكما ،

فأنا أطمع في أن أراك بجوار من تحب
ابتسم سليم في سخرية ، ثم أدار وجهه في اتجاه والدته ، ورمقها بنظرات حـادة ومتفرسة و...

-سليم بجدية : أمي .. كفاكِ عبثاً معي ، فأنا أعلم أنها ابنة صديقتك ، وتريدينى أن أتزوجها فقط لأنكِ وعدتي أمها بهذا ، لكني أحب أن أفسد خططك ، فأنا لن أتزوجها .. سواء هي أو غيرها ...!

-كوثر بنظرات متسعة من الصدمة ، وبنبرة مشدوهة : ماذا تقول ؟

-سليم بنبرة أكثر جدية : أقول لكِ أني لن أتزوج ابنة صديقتك ، فأنا قد تزوجت ..
اتسعت مقلتي عينيها في ذهول تام ، وفغرت شفتيها في اندهاش ، وارتسمت علامات الدهشة الممزوجة بالصدمة على كل قسمات وجهها ، ثم مدت كلتا يديها لتمسك بسليم من ذراعيه ، و...

-كوثر بنبرة مصدومة للغاية : هاه .. تزوجت ! أنت تمزح ، صح ؟ أجبني سليم ؟؟؟
رمقها هو بنظرات ثابتة ، ولم تطرف عيناه ، فأيقنت السيدة كوثر أن ما يقوله ليس بمزاحٍ على الإطلاق ، و...

-كوثر بنبرة شبه غاضبة ، ونظرات مشدوهة : كيف حدث هذا ، ومتى ؟؟
أزاح سليم يدي والدته عن ذراعيه ، ثم سـار مبتعداً عنها ، ووجهه مليء بالضيق و...

-سليم بنبرة ممتعضة : إنه لا يخصك كوثر هانم ، فهذه حياتي أفعل بها ما شئت مثلما تفعلين أنتِ بدون أن يحاسبك أي أحد

-كوثر بضيق واضح : لماذا تفعل بي هذا سليم ؟؟ أنا أمك ولستُ عدوتك ! أنا أهتم حقاً لأمرك !

-سليم بنبرة حانقة تحمل نوعاً من التهكم : أعلم أنكِ أمي الغالية ، ولكنك تركتيني من أجل غيري مرة ، وتعاودين تكرار هذا

الآن، فأردت أن أريحك كلياً من همي ..!
-كوثر بنبرة ضائقة : أنت مخطيء
ترك سليم والدته دون أن يكترث بحديثها الذي لم تنهيه بعد ، ولم يعبىء بصراخها المتواصل له لكي يتوقف وينظر لها ، ثم صفع الباب خلفه ، ونزل على الدرج مسرعاً ليركض خارج القصر ، ويتجه إلى سيارته التي ركبها وانطلق بها مبتعداً عن هذا المكان الذي يخنقه ..

....

قاربت عقارب الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وسيدرا مازلت نائمة تغط في نوم عميق ، بينما غفت على مقعدها المربية سوسن ويدها ممسكة بقطعة القماش المطرزة.. ثم بدأت سيدرا تتململ في الفراش وهي تتأوه من الآلم ، فانتبهت لها المربية سوسن ، واستيقظت من غفلتها، واعتدلت في جلستها، ثم مالت عليها بجسدها التعب، ووضعت راحة يدها على جبينها لتتفقد حرارتها ، ثم تنهدت في ارتياح حينما وجدت حرارتها طبيعية ، وأنها إلى حد ما بخير ، واطمأنت حينما رأت جسدها قد سكن ، وأرتخت عضلات وجهها المنقبضة .. فأدركت أن تأوهاتها تلك نتيجة كابوس ما تراه في أحلامها ....

ظلت سيدرا مغمضة لعينيها ، ولكن كانت روحها تتألم رغم شفاء غالبية الكدمات التي كانت منتشرة في كل أنحاء جسدها ، لقد ترك سليم جروحاً غائرة في روحها قبل جسدها ، وتركها حُطام امرأة ..

همست المربية سوسن في أذن سيدرا بكلمات حانية لتهديء من روعها ، وتهون عليها قليلاً حينما وجدتها ترتعش في الفراش ، فقد كانت سيدرا تحلم بكابوس بغيض ، فظلت تهذيء في نومها ، فأفاقتها المربية بهدوء ، ومسدت على شعرها مجدداً

بعذوبة ، ثم همست في أذنها بخفوت ، فهي تدرك أن للكلام الطيب الأثر الإيجابي على النفس المغلوبة على أمرها ..
-سوسن بنبرة دافئة ، ونظرات صافية :
سيكون كل شيء على ما يرام بُنيتي ، أنا هنا إلى جوارك
-سيدرا بصوت ضعيف وباكي : كيف سيكون وقد ذبحني ببرود مغتصب لا قلب له ، وأنا التي ظننت أنه أحبني يوماً ، وهو لم يرغب سوى بقتلي حية .. !
-سوسن بنبرة آسفة وهي تقاوم عبراتها :
حبيبتي ، لقد شاء القدر أن تمري بتلك التجربة ، وقريباً سينتهي كل شيء ، وسيخرج هو من حياتك للأبد ، وستعودين كما كنتِ
-سيدرا ودموعها قد أغرقت وسادتها ، وبنبرة مختنقة : لن أعود كما كنت.. فأنا قد مت!
ثم سمعت كلتاهما صوت طرقات على باب الغرفة الموصد ، ففتحت سيدرا عينيها في فزع ، بينما نهضت المربية سوسن عن مقعدها ، وسارت بخطوات متثاقلة نحو باب الغرفة لترى من الطارق ..
وما إن فتحت الباب حتى وجدت سليم واقفاً أمامها ، وعلى غير عادته ، لقد احتسى الخمر فبدى مترنحاً غائباً عن وعيه ، و...
-سليم بصوت ثقيل وهو يحاول الدخول للغرفة : أريد أن أراها.
دفعته المربية سوسن بيدها المجعدة للخلف ، ثم انطلقت هي الأخرى خارج الغرفة ووقفت أمام الباب لتسده بجسدها ، ثم لوت ذراعها الأخر خلف ظهرها لتمسك بمقبض الباب وتوصده ، و...
-سوسن بخفوت ، ونظرات متوجسة : سيدي ، من فضلك ، ما تفعله الآن لا يليق بك
-سليم بنبرة متحشرجة : لا شأن لكِ بما يليق بي ، أنا أريد أن أراها ، وهذا حقي !

-سوسن بنبرة ممتعضة ، ونظرات حانقة : ألا يكفيك ما فعلته بها ، هل تريد أن تكمل ما بدأت ؟
-سليم بنبرة متشنجة ، وثقيلة : أنا .. أنا لم أقصد أن أؤذيها ، ولكنها تدفعني للجنون
-سوسن بجدية تحمل التهكم : كنت أظن أنك عاقل بدرجة كافية حتى لا تسمح لنفسك بأن تتطاول على امرأة مهما كانت..!
أطـرق سليم رأسه في خزي ، فهي كانت على حق ، وحاول أن يثبت جسده المهتز ، ولكنه كان يترنح نتيجة تأثير الخمر عليه ، ثم جثى فجـأة على كلا ركبتيه أمام مربيته و...
-سليم بصوت مختنق : أنا لا أعلم ما الذي أصابني ، ولكني أسف ..اسف على ما فعلت بها ، ضميري يؤلمني كثيراً ..
ثم رفع كلتا يديه أمام عينيه ، ونظر إلى كلتاهما بنظرات نادمة و...

-سليم بنبرة أكثر اختناقاً : حقاً أنا نادم على ما فعلت ، هلا طلبتِ منها أن تغفر لي ؟
أشاحت المربية سوسن بوجهها بعيداً عنه بعد أن رمقته بنظرات احتقارية و...
-سوسن بنبرة استنكار : لا أستطيع أن أطلب منها هذا ، فأنت من أجرم بحقها ، وهي لن تعطيك الغفران أبداً .. فأرجوك انصرف ..
ثم تركته المربية سوسن على حالته تلك ، وانصرفت من أمامه دون أن تستجيب لتوسلاته ولا لرجائه ، ودلفت إلى داخل الغرفة ، ومن ثم أغلقت الباب في وجهه ، واستدارت بجسدها لتجد سيدرا منكمشة على نفسها ، ومثنية لكلتا ساقيها أمام صدرها وهي تعقد ذراعيها أمامهما وفي حالة خـوف شديدة و...
-سيدرا بنبرة مرتعدة ، ونظرات خائفة : أرجوكِ لا تجعليه يقترب مني ، فأنا .. فأنا أخـافه بشدة ..

ثم استمعت كلتاهما إلى صوته يخترق الباب الموصد بـ ...

-سليم بنبرة ثقيلة وهـادرة : أحبك سيدرا .. احبك ، ولن أتركك أبداً ...!

ارتجفت سيدرا أكثر بعد سماعها لعبارته الخيرة واعترافه بحبه لها ، وقبضت على ساقيها أكثر .. في حين اقتربت منها المربية سوسن ، وجلست إلى جوارها على الفراش ، ثم مدت كلتا ذراعيها حولها لتحاوطها بحنو شديدة ومحاولة بث الطمأنينة إليها و..

-سوسن بنبرة صافية : اهدئي بنيتي ، فأنا سأحميكي منه ..!

-سيدرا بنبرة مذعورة ، ونظرات متوسلة : لا أريد أن أراه ، أنا أبغضه كثيراً ، لا أريد أن أخرج من هنا إلا حينما أعود لأهلي ، لا أريد أي شيء سوى الرحيل عن هنا .. أرجوكِ خالتي ، قفي بجانبي !

ثم أسندت رأسها على صدر المربية سوسن ، وبدأت تبكي مرة أخـرى مسترجعة ذكرياتها المريرة معه .. فربتت سوسن على ظهرها ، ومسدت على شعرها ، وقبلتها من وجنتها ، ثم نظرت أمامها بثبات و...

-سوسن متابعة بهدوء: أعدك ابنتي ألا أتركك أبداً إلا حينما أعيدك لأهلك .. فأنتِ ابنتي التي لم ألدها .. فرفقاً بقلبك حبيبتي ، فأنا لا أتحمل دموعك تلك ، وأعدك أنه لن يلمسك مجدداً حتى لو اقتضى الأمـر الوقوف بوجهه!

....

انتهى الفصل

روايات قصيرة تصدر حصرياً عن قلوب أحلام

منتديات روايتي الثقافية

الفصل التاسع



عـــاد سليم إلى غرفته بعد أن قضى ليلته
بأكملها ممدداً أمام باب غرفة سيدرا وهو
يردد على مسامعها أنه يحبها بجنون ،
ويعشقها بلا حدود .. بلى ، هو يعلم أنها حالياً
تمقته ، تبغضه ، تكره ما يذكرها به ،
ولكنه كان متيقناً من أمـر واحد ، هو أنه
عاشق لها .. وأنها حبيبته التي يشتهيها ..
هو لا يعرف كيف ومتى أحبها ، ولكنه وقع
أسيراً لغرامها .. وسوف يحاول جاهداً إصلاح
ما جـرى معها ..
رأته والدته السيدة كوثر وهو يسير
بخطوات بطيئة نحوغرفته ، و في تلك
الحالة المزرية ، فتعجبت كثيراً ، ونادت
عليه ، ولكنه تجاهلها ، فعقدت العزم على
أن تجري حديثاً جاداً معه ، وتعرف ما الذي
يدور في خلده ، لذا سـارت خلفه ، واتجهت
ناحية غرفته ، ثم دلفت إلى الداخل ،
فوجدته مسجى على الفراش ، لذا تحركت

خطوة للأمام ناحية فراشه ، ولكن اتسعت عيناها في ذهــول تام حينما استمعت إلى شهقاته ، فظنت أنها تتوهم هذا ، ولكن إزداد نحيبه ، فوضعت كلتا يديها على فمها من الصدمة ، فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي ترى فيها ابنها الوحيد يبكي بمرارة .. ومنكسر .. لقد أخافتها هيئته تلك بشدة ، وأرادت أن تعرف ما الذي أصابه . فاجتهدت لكي تتغلب على صدمتها ، وسـارت بخطوات متمهلة ناحيته ، ثم جلست على طرف الفراش ، ومدت يدها لتضعها على ظهره و..

-كوثر بنبرة رقيقة : سليم

انتبه هو إلى صوت والدته ، وتفاجيء بوجودها ، فكفكف دمعه ، وأزاح يدها بعيداً عنه ، واعتدل في جلسته على الفراش و...

-سليم بنبرة ممتعضة ، ونظرات حانقة : ماذا تريدين مني ؟

استغربت كوثر من ردة فعل ابنها الفظة معها ، ولكنها تغاضت عن الأمـر و...

-كوثر بخفوت ، ونظرات أم حانية : أريد أن أطمئن عليك ، فأنت لم تعد كما كنت ، أعرف أنك تريد اغاظتي بحديثك عن زواجك المزعوم هذا ، ولكني متأكدة أنها مجرد أكاذيب.

نهض سليم عن الفراش وهو مكفهر الوجه ، ثم سـار في اتجاه باب غرفته و...

-سليم بنبرة جادة وهو يشير بيده : اخرجي من غرفتي كوثر هانم ، فأنا لا أريد أن أرى وجهك.

احتقن وجهها بالدمـاء عقب جملته الأخيرة ، و...

-كوثر بضيق ، ونظرات مشدوهة : لماذا تعاملني هكذا ؟ لماذا أنت قاسٍ إلى هذه الدرجة ؟!

-سليم بإقتضاب : إسألي نفسك ، فأنتِ من دفعني لهذا

-كوثر بتبرم ، ونظرات حادة : أنا لم أخطيء في شيء

-سليم وهو يلوي فمه في تهكم : حقاً .. !!!

-كوثر بنبرة ضجرة : أنا لا أجدد مبرراً لأفعالك سوى أنك تعاندي فقط ، وأنا قد سئمت ذلك ..

مط هو شفتيه في استهجان ، ورمق والدته بنظرات استنكار، بينما تابعت هي حديثها ببرود مستفز و بـ ...

-كوثر بلهجة شبة آمرة : ضع في اعتبارك أني سأقيم حفلاً غداً ، وأتوقع مجيئك للترحيب بالضيوف معي

-سليم وهو يزم شفتيه : لا أعتقد أني سأتي

-كوثر بجدية : هذا أمر وليس طلب .. !!

ثم تركته وانصرفت دون أن تنتظر منه أي رد ، في حين نزع هو قميصه الأسود المبتل

بعرقه ، وألقاه على الأرضية ثم توجه إلى المرحاض من أجل الاغتسال ...

....

إمتلأ القصر بأصوات ضجيج عالية مع إشراقة شمس صباح اليوم التالي ، حيث الاستعدادات الجارية على قدم وساق من أجل حفل الليلة البهيج الذي تقيمه السيدة كوثر من أجل تدبير حفل تعارف وتوثيق صلات بينها وبين ابنة إحدى رفيقاتها ..

اعتذر أحد الخدم عن المجيء بسبب ظروف وفاة والده ، فاضطرت مدبرة المنزل أن تبلغ سيدة القصر بهذا الأمر ، مما جعلها تغضب غضباً عارماً ، فلم يعد هناك وقتاً كافياً من أجل توفير خادم بديل ، والحفل متبقي عليه فقط ساعات قليلة ، فظلت تسب وتلعن ذلك الحظ العثر ، ثم مالت إحدى الخادمات على زميلتها لتقترح عليها ..

-خادمة ما بصوت لئيم : لماذا لا نستعين

بابنة المربية سوسن ؟
-خادمة أخرى بنبرة حائرة:أتقصدين سيدرا؟
-خادمة ما بنبرة ممتعضة : بلى ، هي مثلنا ، أم هي تظن أن ابنتها من سادة القوم كي لا تخدم غيرها كما نفعل نحن !!
-خادمة أخرى بعدم اقتناع : أنا لا أعلم ، ولكن بإمكانك أن تقترحي هذا على السيدة كوثر
-خادمة ما بنبرة جادة ، ونظرات شرسة : سأفعل هذا ..
وبالفعل توجهت الخادمة إلى غرفة السيدة كوثر لتبلغها بشأن سيدرا ...

....

ظلت سيدرا محدقة أمامها وهي تتنهد بإنزعاج ، حيث بدأ العد التنازلي لانتهاء المهلة المحددة لانتهاء عقد الزواج المشؤوم ، وأصبحت تعد هي الأيام بفارغ الصبر كي تترك هذا القصر اللعين بمن فيه للأبد ..

فقد قضت أسابيعاً طويلة حبيسة جدران تلك الغرفة دون أن تتركها إلا للذهاب إلى المرحاض المجاور لها ، فقط لتتجنب رؤية مغتصبها الكريه الذي لم يفارق أحلامها يوماً .. وسيطر عليها كلياً .. فلم تعد ترى سواه ، فأصبح هاجسها الوحيد ، ورغم أنها كانت تكرهه بشدة إلا أن هناك شيئاً ما بداخلها كان ينبض لأجله ، ولكنها أنكرت الاعتراف لنفسها بهذا الشعور ، وأصرت على أن تقاومه بكل جوارحها .. وبررت لنفسها انسياقها وراء شعورها هذا بأنه نتيجة تفكيرها الدائم والمستمر فيه ... وكالعادة حاولت أن تنفض عن عقلها التفكير فيه .. وحاولت أن تلهي نفسها بإكمال تطريز قطع القماش .. لقد علمتها المربية سوسن تلك الهواية خلال الأسابيع المنصرمة ، فأحبتها ووجدتها السلوى لها في وحدتها التي لا تنتهي أبداً ...

كانت سيدرا ترتدي قميصاً قطنياً أبيض اللون حينما دلفت المربية سوسن إليها وهي تحمل صينية طعام الغذاء لها و...

-سوسن بنبرة هادئة : حبيبتي ، تناولي بعضاً من هذا

-سيدرا باقتضاب : لا أريد

-سوسن بإصرار : غاليتي ، لقد أعدت هذا الطعام خصيصاً لكِ ، إنه من أطباقنا الشهيرة بالضيعة

-سيدرا بإنتباه شديد : الضيعة

-سوسن وهي تبتسم برضا : تناوليه حبيبتي ، من أجلي ، ومن أجل أحبائك هناك

-سيدرا بخفوت : أحبائي

-سوسن هي تومىء برأسها : بلى ، فأنا أعرف جدتك مريام جيداً ، وهي من علمتني تلك الوصفة الطيبة

-سيدرا وهي تتنهد بحرارة : أووه .. جدتي ، أمي ، اختي ، وجدي .. كم أفتقدهم جميعاً

-سوسن بنبرة دافئة : قريباً ستعودين إليهم .. ولكن اهتمي أولاً بصحتك صغيرتي ، فأنتِ لا تريدين أن يروكِ وأنت شاحبة الوجه ، ومريضة .

-سيدرا وهي تهز رأسها : حسناً .. سأكون قوية من أجلهم .

-سوسن وهي تبتسم بارتياح: هكذا أريدك! وفجـأة وجدت كلتاهما السيدة كوثر تقتحم عليهما الغرفة وعلى وجهها علامات شر مستطر و...

-كوثر بنبرة آمرة وحادة وهي تشير بيدها لسيدرا : أنتِ ، أريدك مع الخدم الليلة

انتفضت سيدرا فزعة في مكانها ، وتوقفت اللقمة التي كانت تلوكها في حلقها ، وكادت تختنق من الصدمة ، وسعلت لعدة مرات قبل أن تجيبها بـ ...

-سيدرا بنبرة مختنقة : كح ... آآ.. ماذا ؟

-كوثر بنبرة هادرة : هل أنتِ صماء ؟

-سوسن مقاطعة بتوجس ونبرة متلعثمة : سيدتي ، إن .. إن ابنتي مريضة وآآ...
رمقت السيدة كوثر سيدرا بنظرات استعلاء ممزوجة بالتعالي قبل أن تتابع بـ ...
-كوثر بغضب عارم يحمل التهديد : أنا أراها بكامل عافيتها ، أم أنكِ تظنين أنك مالكة هذا القصر ، إفعلي ما أمرك به أو سأزج بابنتك في السجن وأتهمها بسرقة عقدي الثمين ..
ثم التفتت إلى المربية سوسن ، وحدقت بها بنظرات قاسية و...
-كوثر بنبرة مخيفة : وأنتِ تعرفين أني قادرة على هذا .....!
-سوسن فاغرة شفتيها في ذهول ، وبنظرات مشدوهة : ماذا ؟؟؟
-سيدرا بنبرة مصدومة وأعين متسعة: هـــه!!
تبادلت كلاً من سيدرا والمربية سوسن النظرات المرتعدة والخائفة ، فليس أمامهما أي حل أخـــر سوى الامتثال لأوامر السيدة كوثر ، وإلا ستتعرض الأولى للاعتقال دون أن ترتكب أي جريمة ...
تركتهما السيدة كوثر بعد أن رمقتها بنظرات متأففة ، ثم انصرفت خــارج الغرفة ، فتنهدت سيدرا في ضيق ، وبدأت العبرات تتجمع في مقلتيها ، ثم دفنت وجهها بين راحتي يدها و..
-سيدرا بنبرة مختنقة من البكاء : أنا لا أريد الخروج من هنا ، لا أريد خالتي سوسن
حاولت المربية سوسن أن تهون عليها المسألة ، فهي تعرف أنها لن تتقبل بسهولة أن تطأ بقدميها خــارج الغرفة إلا حينما تترك هذا القصر للأبد ، ولكن لا مفر الآن من الخروج.
-سوسن بنبرة شبه منزعجة : حبيبتي ، لا تقلقي ، لن يمسك أي أحد بسوء ، فأنا إلى جوارك .
-سيدرا بنبرة باكية : لقد قطعتِ وعداً بأن

تخرجيني من هنا حينما أعود لأهلي ، وليس قبلها.

-سوسن بنبرة آسفة : أنا أعلم حبيبتي ، ولكن ليس باليد حيلة ، فأنا .. فأنا أعرف شر تلك المرأة ، هي لن تتركك إن لم تنفذي أوامرها

-سيدرا بخوف : ولكن هذا معناه أني سأراه

-سوسن بتوجس : احتمال وارد ، ولكني إلى جوارك ، ولن أسمح له بالاقتراب منكِ .. ثقي بي بُنيتي

حاولت المربية سوسن اقناع سيدرا بأن تخرج من الغرفة وتساعد باقي الخدم في حفل الليلة كي تتجنب نوايا السيدة كوثر الخبيثة في حال رفضها ، وتعهدت لها مراراً وتكراراً بألا تتركها بمفردها ، وستحاول قدر الإمكان أن تحول دون إلتقائها بسليم .. وفي النهاية رضخت سيدرا لطلبها رغم شعورها بالإنقباض ...

حل المساء ، وتوافد الضيوف على ذلك القصر المهيب ، وتعالت أصوات الضحكات الممزوجة بأصوات الموسيقى الهادئة .. وقفت السيدة كوثر أعلى الدرج لترمق جميع الحاضرين بنظرات متباهية ، ثم أمسكت بالدرابزون وهي تنزل عليه بفستانها الأسود اللامع ذو الصدر المكشوف ، والأكتاف العالية .. وبدأت تخطو بين مدعويها بتفاخر وتعالي .. وجابت ببصرها بين الجميع وهي تلوح لهم بيدها بخيلاء .. لم تكف السيدة كوثر عن الضحك بطريقة ملفتة للأنظار ولا بتلقي عبارات الاستحسان الزائفة أو المجاملات المصطنعة من أجل نيل رضائها .. ثم اقتربت منها إحدى السيدات ذات الطلة المهيبة ، والملابس الفاضحة رغم كبر سنها ، وتبادلت كلتاهما التحية والقبلات ..

كانت تلك هي رفيقتها الثرية التي تسعى

لتزويج ابنها من ابنتها ريفان ، فقط من أجل زيادة مصالحهما المشتركة ، وتحقيق الثراء الذي تبغيه ..

....

ارتدت سيدرا ملابساً رسمية كباقي الخادمات مكونة من تنورة سوداء تصل إلى ركبتيها ، وكنزة بيضاء ضيقة موضوع بقيتها بداخل التنورة ، وعقصت شعرها للخلف كالكعكة ..
أثرت هي أن تظل قابعة في المطبخ الملحق بالقصر وهي عاكفة على إعداد المشروبات الباردة ، ورص الكؤوس اللامعة على الصواني المذهبة من أجل إعطائها للخادمات لكي تقدمهن للضيوف .. ورفضت أن تخرج تماماً من المطبخ رغم إصرار مدبرة المنزل على خروجها بسبب مظهرها الحسن ، وجمالها الطبيعي الغير مكلف .. ودعمتها في قرارها المربية سوسن، وطلبت من المدبرة أن تدعها

لشأنها ، وتكف عن ملاحقتها وتكتفي فقط بمتابعة باقي الخادمات ، والاشراف عليهن خلال الحفل ، فاغتاظت مدبرة المنزل كثيراً ، وقررت أن تلقن كلتاهما درساً موجعاً ولكن عليها أن تنتظر الفرصة السانحة لتفعل هذا.

....

تأخــر الوقت والحفل مازال قائماً ، بل على العكس ازداد عدد الحضور ، وتحولت الأجواء من هادئة إلى صاخبة ، وخرجت الأمور عن السيطرة – خاصة فيما يتعلق بالمداعبات والمغازلات بين النساء والرجــال – وكل هذا والسيدة كوثر في قمة سعادتها ، فهي قد ظفرت بعدة صفقات ، وحققت بضعة مكاسب دون مجهود يذكر ..
وفي نفس التوقيت ، عــاد سليم من مكتبه ليتفاجيء أن الحفل مازال مستمراً ، فعبس وجهه ، واكفهر أكثر ، وقرر أن يصعد فوراً إلى غرفته دون أن يلقي التحية على أي من

الموجودين ..
ولكنه فكر للحظة أن والدته ربما ستجبره على البقاء بصحبة رفيقاتها الكريهات إذا ما رأته موجوداً ، لذا قرر أن يدلف القصر من الباب الخلفي ، وبالفعل سار في اتجاهه ، وقام بفتحه بعد أن وجده موصداً بالمفتاح الذي معه ، ثم سار بخطوات سريعة في اتجاه السلم الجانبي المجاور للمطبخ ، ولكنه توقف فجأة عن متابعة سيره حينما لمح من طرف عينه سيدرا ، فخفق قلبه فوراً، وتسمر في مكانه ، وأدار رأسه في اتجاهها ليراها بوضوح .. لم تنتبه هي لوجوده ، فقد كانت منهكة من كثرة العمل ، وبدأت تزفر في ضجر من كثر طلبات مدبرة المنزل التي لا تنتهي .. حيث أعادت ملىء الكؤوس الفارغة من جديد ، وبدأت ترص قطع الحلوى الشهية في الصحون الغالية ...
في تلك اللحظة قرر سليم أن يستغل

الفرصة ، ويتحدث معها ، حتى يطلب منها الغفران لعلها تسامحه ، وتغفر له خطيئته معها .. سار هو بخطوات متعثرة نحوها حتى وقف خلفها يشتم رائحتها التي لم تفارق أنفه ليوم .. كانت هي توليه ظهره ، غير مدركة لوجوده ، فأغمض هو عينيه ليستعيد ذكريات لقائه بها والتي دائماً ما كانت تبدأ بشجارهما سوياً ، حتى انتهت بإعتدائه عليها ..
ثم فتح عينيه على إثر صوتها العذب والساحر الذي اخترق اذنيه ليزيد من اشتياقه إليها و...
-سيدرا بنبرة مرهقة وهي توليه ظهرها : من فضلك احملي تلك الصينية ، ولكن احذري فهي مليئة بالمشروبات
وفجأة وجدت من يضع كفه على كفها الممسك بمقبض الصينية المذهبة ، فانتفض جسدها فزعاً ، فقد عرفته دون أن

تراه ، لقد شعرت بقشعريرة باردة ومخيفة تسري في جميع أوصالها ، فانقبض قلبها أكثر ، وتلاحقت أنفاسها ، وبدأ صدرها يعلو ويهبط بسرعة ..
حاولت سيدرا أن تنسل من بينه ، ولكنه حاصرها من الخلف بكلا ذراعيه ، فلم تجد أي مهرب منه ، ثم ....
-سليم بصوت رخيم : أنا أسف
شهقت سيدرا في خوف ، وخشيت أكثر على نفسها ، ولم تنبس بكلمة واحدة ، فقد فرت الكلمات من حلقها ، و حاولت جاهدة أن تسحب يدها المرتجفة من أسفل قبضة يده ، ولكنه ظل متشبثاً بها و...
-سليم متابعاً بنبرة أعمق ومليئة بالشجن : أنا أعلم أني مذنب فيما فعلت ، وأنا أجرمت حينما .. حينما تعرضتُ لكِ ، ولكن صدقيني سيدرا فأنا نادم بشدة على ذلك .. لم أكن في وعيي، أقسم لكِ أني لم أدرك ما أفعل.
ثم صمت للحظة محاولاً السيطرة على انفعاله ، ومـال برأسه على أذن سيدرا ليهمس لها بـ ...
-سليم بصوت هامس ومبحوح : سيدرا .. أنا .. أنا أحبك بجنون ، أنا أتعذب كل ليلة ببعدك عني .. اريدك معي .. أريدك لي ، فأنتِ حبيبتي الوحيدة ...
اقشعر بدنها على إثر كلماته الحارة التي ألهبتها ، وارتجفت أكثر وهي تشعر بصدق ما يقول ، ولكنها قاومت رغبتها في تصديقه ، وخشيت أن تنجرف وراه إحساسها نحوه ، لذا ذكرت نفسها بوحشيته ، وقسوته ، وكافحت للبقاء بعيدة عن تأثيره الآخـاذ ...
أخذت سيدرا نفساً عميقاً حاولت أن تستجمع به كل شجاعتها لكي تواجهه ، ثم بكل قوة أوتيت بها سحبت يدها ، واستدارت كلياً بجسدها ثم وضعت كلتا يديها على صدره

لتدفعه بعنف للخلف وهي تصرخ هادرة بـ ...
-سيدرا بنبرة عنيفة : ابتعد عني ، أنا أكرهك
مــد سليم كلتا يديه ليمسك بها من معصميها ، ثم قربها نحوه قليلاً و...
-سليم بنبرة هادئة : وأنا .. أحبك سيدرا
تلوت سيدرا أمامه محاولة تخليص ذراعيها من قبضتي يده المحكمة عليهما ، ولكنها عجزت عن هذا ، فقد كان أقوى منها ، ومتمسكاً أكثر بها ..
-سيدرا بنبرة صارمة : وأنا لا أطيق وجودي معك ، أنت قاتلي ، أنت من ذبحني ببرود
حدق سليم فيها بنظرات آسفة ، ثم جذبها نحو صدره ، وأرخى قبضتي يده عن معصميها ليحاوطها بذراعيه من ظهرها ، ويضمها أكثر إلى صدره وهو ممسك بها ، ثم أسند رأسه على رأسها وظل يحك جبينها بذقنه و..
-سليم بنبرة هامسة : أنا أسف حبيبتي ، سأعوضك عما حدث ، سامحيني أرجوكِ .. اغفرلي ذنبي .. أنتِ زوجتي .. أنتِ حقاً معذبتي.....!!!
كادت سيدرا أن تستسلم لصوته الذي آسرها ، وجعلها ترتاح على صدره ، ولكنها نهرت نفسها عما تفعل ، وقاومت تأثيره و...
-سيدرا بنبرة حانقة : لن أكون لك أبداً مهما حاولت ، فأنت ميت بالنسبة لي ..
ثم جاهدت سيدرا لكي تحرر نفسها منه ، وتنسل بعيداً عنه ، ولم تكف عن إلقاء اللوم عليه وتحميله ذنب اعتدائه الوحشي عليها ، وتذكيره بقسوته القاتلة معها رغم توسلاتها له لكي يرأف بها ويرحمها ..
فأدمعت عيناه ، وارتجف جسده ، وأرخى ذراعيه لتستغل هي الفرصة ، وتتحرر من قبضته ، ثم تراجعت للخلف عدة خطوات ، و..
-سيدرا بنبرة هادرة وهي تشير بإصبعها : أنت

مغتصب ، قاتل ، مجرم .. أنا أكرهك ، ولا أريد أن أظل زوجتك ..
ثم أخذت نفساً سريعاً قبل أن تتابع بـ ...
-سيدرا بنبرة متشنجة ، وهي تنظر إليه بعينيها الحانقتين : تلك الصفقة الرخيصة التي عقدتها فقط لتنال مني سأنهيها اليوم ، فأنا لم أعد قادرة على التحمل أكثر من هذا ، سأرحل من هذا القصر للأبد ، وأنت رغماً عنك ستطلقني ، فعقد زواجنا المشؤوم سينتهي خلال أيام ، وأنا سأعود كما كنت، أما أنت فستظل في نظري المغتصب البغيض...!!!
انقبض قلبه بشدة ، وشعر بألم حاد يعتصره ، ثم نظر إليها وهو يرمقها بنظرات استعطاف و...
-سليم بنبرة مرتبكة : أرجوكِ سيدرا ، دعيني أعوضك عما فات ، ولكن لا ترحلي عني ، لا تتركيني بمفردي أعاني ويلات بُعدكِ عني
-سيدرا بحنق : لن أكون لك مهما كان
ثم تركته وركضت مسرعة خارج المطبخ ، وظلت تلتفت برأسها للخلف لتتأكد من أنه لا يلحق بها ، ثم وصلت إلى الردهة الواسعة المقام بها الحفل الصاخب ، ودون قصد منها ارتطمت بشدة بالسيدة كوثر!!!

....

انتهى الفصل
روايات قصيرة تصدر حصريا عن قلوب أحلام
منتديات روايتي الثقافية

الفصل العاشر



حـــاول سليم اللحاق بسيدرا ، ولكن ظهرت المربية سوسن فجــأة أمامه لتمنعه من المرور ، و...

-سوسن بنبرة ضائقة وآمـرة : ابتعد عنها ، لا تقترب منها أبداً ، ألا يكفيك ما فعلته بها

-سليم بنبرة متشنجة ، ونظرات حانقة : إنها زوجتي

-سوسن بحدية : إنها مسألة أيام وسينتهي كل شيء ... هي لم تكن لك من البداية

-سليم بحنق : هي لي ، شئتِ أنتِ أم أبيتِ فهي لي ، ولن أتخلى عنها أبداً

-سوسن بنبرة مهددة : وأنا لن أسمح لك بالاقتراب منها

-سليم بصراخ هــادر ، وبنظرات شرسة وهو يشير بيده : ابتعدي عن طريقي سوسن ، فأنا لن أتخلى عن زوجتي

....

ارتطمت سيدرا بدون قصد منها بالسيدة

كوثر مما جعل كأسها المليء بالخمر ينسكب على فستانها اللامع ، فلطخه بشدة ، وجعلها تثور بحدة و...
-كوثر وهي تهدر بعنف : أأنتِ عمياء ! سأعاقبك بشدة على فعلتك أيتها الحمقا
نظرت إليها سيدرا بأعين خائفة ، ونظرات زائغة ، في حين تابعت كوثر بـ ...
-كوثر بصراخ حاد ، ونظرات قاتلة : اخرجي من هنا أيتها البلهاء ، أنتِ مطرودة
انتفضت سيدرا على إثر صراخها ، وركضت مسرعة من أمامها وعينيها مغرورقتين بالدموع إلى أن دلفت خارج بوابة القصر الحديدية ..
ظلت تركض عبر الطرقات المظلمة وهي لا تعرف إلى أين تتجه ، كانت بين الحين والأخر تتلفت حولها لتتأكد من أنه لا يوجد من يلاحقها ، وفجأة سطع ضوء قوي اخترق ظلام ذلك الطريق الذي تركض عليه بشدة أمام وجهها ، فوضعت كلتا يديها أمام عينيها لتحجبه عنهما ، وإذ بهذا الضوء يقترب منها بسرعة رهيبة ، فصرخت في خوف رهيب ، وانحنت بجسدها للأسفل وكأنها تحاول تفاديه ، ثم سمعت صوت مكابح قوي يصدر من مسافة قريبة ، فأدركت أن هذا الضوء الساطع ماهوإلا لسيارة قادمة من بعيد كانت تحاول تنبيهها وهي تركض بدون وعي ..
جثت سيدرا على ركبتيها ، وظلت تلهث بصعوبة وهي تشهق بصوت مرتفع ، في حين ترجل قائد السيارة منها ، وسار بخطوات راكضة في اتجاهها ، ثم تسمر مكانه للحظة حينما رأها ، و...
-هيثم بنظرات مصدومة وهو فاغر شفتيه : سيدرا ..!
لم تنتبه هي له ، بل ظلت على وضعيتها الحالية ، ومستندة بكفي يدها على

الأرضية الاسفلتية ، ومطرقة رأسها للأسفل وهي تبكي بمرارة ...
اقترب هيثم منها ، ثم وقف خلفها ، وإنحنى بجذعه قليلاً عليها ، وأسند يده على كتفها ، و...
-هيثم بنبرة قلقة ، ونظرات حائرة : سيدرا .. أأنت بخير ؟
لم تجبه سيدرا بل بكت بحرقة اكثر ، وتعالت شهقاتها ، ثم انهارت تماماً أمام ناظريه ومالت بجسدها للأمام ، ثم تمددت على الأرضية ، وفقدت وعيها ، فتوجس هيثم خيفة عليها ، وجثى على أحد ركبتيه ، ومد ذراعه نحو وجهها ، وحاول تحريكه ، وبالذراع الأخر أمسك كف يدها الرقيق و...
-هيثم بنبرة مرتبكة ، ونظرات مضطربة : سيدرا ، أجيبني ، سيدرا ، ماذا حدث لكِ ؟
تفحصها هيثم بنظرات قلقة ، وحاول إفاقتها ولكنه لم يستطع ، فأسرع بوضع أحد ذراعيه خلف عنقها ، وأسند ذراعه الأخر أسفل ركبتيها ، ثم اقترب منها أكثر ، وقام بحملها بين ذراعيه ، ونهض عن الأرضية الاسفلتية ، وتوجه ناحية باب المقعد الخلفي لسيارته ، وحاول فتحه بأطراف أصابعه ، ثم مال بجذعه لداخل السيارة ، وأسندها على المقعد الخلفي ، وأراح رأسها للجانب ، ثم أغلق الباب ، ودار حول السيارة بخطوات راكضة ، ثم ركب خلف المقود ، وأدار السيارة ، وانطلق بها مسرعاً محاولاً إنقاذها ...

....

في نفس التوقيت خرج سليم من المطبخ بعد أن دفع مربيته من كتفها ، ثم استدار برأسه ناحيتها ، ونظر إليها بنظرات متحدية و...
-سليم بنبرة عنيدة : أسف ، لن أتركها أبداً حتى لو رفضت هي هذا، وسأردها إن تم

الطلاق، وهذا لن يحدث.. فهي ستظل زوجتي!
توجـه هو إلى الردهة وجاب ببصره بين الحاضرين ، فشعر أن هناك خطب ما بهم ، وخاصة حينما سمع بعض الهمهمات الجانبية عن خادمة ما تصرفت بوقاحة مع سيدة القصر ، فتوجه ببصره ناحية والدته ، فوجد بعض السيدات تحاوطها ، فسـار في اتجاهها بخطوات غاضبة إلى أن وقف قبالتها و...
-سليم متسائلاً بضيق : ما الذي حدث ؟
-كوثر بنبرة غاضبة ، ونظرات مستنكرة : البلهاء أفسدت سهرتي!
ضيق سليم عينيه ، ورمقها بنظرات ضجرة و...
-سليم بنبرة متذمرة : من تقصدين ؟
-كوثر بنبرة مستفزة وحانقة : أقصد الغبية سيدرا.
اتسعت عيناه في صدمة ، ثم قطب جبينه في انزعاج واضح و...
-سليم بنبرة متصلبة : إنها ليست غبية
-كوثر مقاطعة بحدة : بل غبية ولا تفهم أي شيء ، حمداً لله أني تخلصتُ منها
أمسك سليم بذراعي والدته ، ثم هزها بحدة وهو ينظر إليها بنظرات حانقة و...
-سليم متسائلاً بصراخ عنيف : ماذا فعلتِ بسيدرا ؟
-كوثر بنبرة مغتاظة ، ونظرات ثابتة : لقد طردتها ، وآآ...
-سليم مقاطعاً بغضب هـادر : كيف تجرؤين أمي ، كيف ؟؟؟
نفضت السيدة كوثر ذراعي ابنها القابضتين عليها ، ورمقته بنظرات ساخطة و...
-كوثر بنبرة حـادة ومستفزة : أنا حرة لأفعل ما شئت بخدمي ، ولن تحاسبني على ذلك .....!!
-سليم وهو يصدح بعنف : إنها ليست خادمة ،

إنها زوجتي التي أحبها!
جحظت عيني السيدة كوثر في صدمة شديدة ، وفغرت شفتيها في عدم تصديق و...
-كوثر بنبرة مشدوهة : م.... ماذا ؟؟؟ أنت تهذي...!
-سليم بنظرات قاسية ، ونبرة حانقة وعالية: هذه هي الحقيقة التي تنكرينها ، سيدرا هي زوجتي ، بلى الخادمة هي زوجتي ، هل سمعتِ كوثر هانم .. الخادمة هي زوجتي
ثم تركها سليم على حالتها المصدومة تلك ، واخترق جموع الحاضرين ، وركض مسرعاً إلى الخـــارج محاولاً إيجاد زوجته ..

....

تابع هيثم حالة سيدرا من مرآة سيارته الأمامية ، فوجدها تحرك رأسها للأمـام ، فتتنفس الصعداء ، وتنهد في ارتياح ، وارتخت ملامح وجهه المشدودة ، و...
-هيثم بنبرة متلهفة : سيدرا ، هل تسمعيني؟
سيدرا ، أجيبي عليّ من فضلك .
هزت سيدرا رأسها بضعف ، ثم فتحت عينيها قليلاً لتنظر أمامها ، ثم عاودت إغلاقهما في تعب ، بينما ظل هو متابعاً إياها عن كثب ، وموزعاً بصره بينها وبين الطريق ..
-هيثم متسائلاً بنبرة قلقة : هل تودين الذهاب للمشفى ؟؟
أومأت هي برأسها بالرفض ، فنظر إليها بنظرات متفحصة اكثر و..
-هيثم متسائلاً بحيرة : إلى أين تريدين الذهاب ؟؟
-سيدرا بخفوت شديد ، وبملامح شاحبة : لا أعـــرف ..
فكـــر هيثم لبرهة في المكان الذي سيوصل سيدرا إليه ، ثم دار بخلده أن يأخذها إلى منزله حيث توجد والدته المسنة ، والتي ربما توافق على استضافتها ريثما ترتب هي أوضاعها ..

حــاول هو أن يتجاذب أطراف الحديث معها ، ويستشف منها ما الذي حدث تحديداً .. فتقريباً أصبحت روابط الصلة بينه وبين رفيقه سليم نوعاً ما شبه مقطوعة خاصة بعد الذي صــار مع سيدرا .. فدفعه الفضول لمعرفة كيفية مجيئها إلى هنا ، وظهورها بهذا الشكل المخيف في هذا التوقيت المتأخر من الليل على قارعة الطريق ...
لم تجب سيدرا عليه إلا بكلمات مقتضبة ، ولم يردْ هو أن يُطيل في الحديث معها ..
لاحقاً وصــل هيثم بسيارته إلى منزله المتواضع ، ثم صف السيارة بجانب الطريق ، وترجل منها ليدور حولها ويمسك بمقبض الباب الخلفي ويفتحه من أجل سيدرا التي أستندت على كف يده لكي تترجل هي الأخــرى منها ..
ترددت هي في قبول دعوته بقضاء هذه الليلة في منزله بصحبة والدته ، وشعرت بالحرج والخجل الشديد والغريب من طلبه هذا ، ولكن لم يكن أمامها أي خيار أخــر.. فالوقت قد بات متأخراً للغاية ، وهي لا تعرف إلى أين تذهب حالياً .. كما أنها كانت تخشى من أن يصل إليها سليم وبالتالي يحول دون عودتها إلى ضيعتها ..
ســارت سيدرا بخطوات متكاسلة نوعاً ما ناحية مدخل المنزل ، في حين التفت هيثم برأسه للخلف بعد أن فتح باب منزله بالمفتاح و..
-هيثم بهدوء حذر : لا تخافي سيدرا ، فوالدتي متواجدة بالمنزل ، وأنا لن أفعل أي شيء قد يلحق الأذى بكِ
-سيدرا بخفوت يحمل الرهبة : أظن أنه يجب أن أرحل ، لا يجب أن أبقى هنا !
-هيثم بنبرة شبه هادئة : سيدرا! .. لا تقلقي .. أنا أعلم أنك متوجسة مني ، فربما تظنين أني أخدعك ،ولكن أقسم لكِ أن والدتي

موجودة .. فقط انتظريها هنا.
ثم أشــار لها بيده لكي تظل ثابتة في مكانها ، ثم دلف هو سريعاً إلى داخل منزله ، وغــاب لدقائق معدودة في الداخل ، فشعرت سيدرا بالحرج ، وغرابة الوضع فقررت أن ترحل ، لذا إستدارت بجسدها ، وكانت على وشك الانصراف ، ولكن أوقفها صوت هيثم بـ ....
-هيثم بنبرة عالية : انتظري سيدرا ، هذه هي يا أمي.
التفتت سيدرا برأسها لتجد سيدة كبيرة في السن تنظر غليها بحنو ، ملامحها مألوفة للغاية ومريحة .. التجاعيد تبدو ظاهرة بوضوح أسفل عينيها ، وشعرها مغطى بحجاب بسيط ، وترتدي عباءة منزلية فضفاضة ، ثم أشارت لها بيدها لكي تدلف إلى الداخل ، فرضخت هي إلى طلبها ، وســارت خلفها للداخل ، ثم ...

-إبتسام بنبرة صافية : مرحباً بك غاليتي في بيتنا المتواضع ، أنا الحاجة ابتسام ، أم هيثم.
أطرقت سيدرا رأسها في خجل شديد ، و..
-سيدرا بنبرة هامسة وهي مجفلة لعينيها : شكراً لكِ على استضافتي هنا ، وأسفة على الازعاج
-إبتسام بنبرة دافئة : لا تقلقي بُنيتي ، فهيثم لا يمكث هنا إلا نادراً ، فغالبية وقته يقضيه في سفره للعمل ، وأنا أظل دائماً بمفردي
-سيدرا بنبرة متلعثمة : سأرحل بـ ... باكراً ، فـ...
-إبتسام مقاطعة بجدية : لا تتحدثي الآن ، فأنا أراكِ مرهقة للغاية ، تعالي معي لكي ترتاحي قليلاً.
ثم وضعت يدها على ظهر سيدرا ، واصطحبتها معها إلى داخل غرفة نومها الواسعة وأحضرت

لها عباءة فضفاضة مريحة قطنية لكي تبدل فيها ثيابها ، ثم تركتها بمفردها في الغرفة وذهبت لإحضار مشروب دافيء لها .. أوصى هيثم والدته على رعاية سيدرا والاهتمام بها ريثما يتدبر لها الطريقة المناسبة من أجل ضمان عودتها إلى أهلها .. كانت السيدة إبتسام على علم مسبق بما دار مع سيدرا وزوجها سليم ، فقد سـرد لها هيثم من قبل تفاصيل ما جرى بين كليهما ، وسبب ابتعاده عن رفيقه ، لذا تلمست هي العذر لها ، وطمأنت ابنها عليها ...

بعد أن تأكد هيثم من استقرار سيدرا في منزل والدته ، استأذن هو بالانصراف لكي يترك الاثنتين على راحتهما دون أن يسبب لهما الانزعـاج ...

أحبت السيدة ابتسام سيدرا كثيراً ، حيث وجدت فيها الابنة الطيبة والخلوقة ، وأشفقت على وضعها الحالي ، ورغم هذا إلا أنها رفضت أن تتركها وترحل ، وألحت عليها لكي تظل باقية معها تؤنس وحدتها وتسليها في وقتها الطويل .. وخلال الأيام التالية ظلت سيدرا ماكثة مع تلك السيدة الحنونة ، وشعرت بالدفء وجو الأسرة الذي افتقدته منذ زمن ... ولم تكف السيدة ابتسام عن سـرد ذكريات ماضيها الغالية عليها ، وفي إحدى المرات سألتها عما تنتوي فعله في المستقبل ، و...

-سيدرا وهي تمط شفتيها في عدم مبالاة : لا شيء تحديداً

-ابتسام بنبرة دافئة ، ونظرات صافية : لماذا لا تكملين دراستك ؟

انتبهت إليها سيدرا عقب جملتها الأخيرة ، ورمقتها بنظرات متفحصة وهي ترفع أحد حاجبيها و...

-سيدرا بنبرة جـادة : ماذا ؟

-ابتسام متابعة بنفس هدوئها الانفعالي :

تكملين الدراسة ، أنتِ كنتِ مجتهدة ، لماذا لا توظفين طاقتك تلك في شيء مفيد يعود عليك بالنفع مستقبلاً ؟!
-سيدرا بنبرة متلعثمة : آآآ.. و.. ولكني آآ.. حالياً لا .. لا أستطيع
-ابتسام بجدية شديدة : بل يمكنك أن تفعلي هذا ، فأنا أثق بك.
ثم واظبت على حثها وتشجيعها على إكمال مشوارها الدراسي ، وبدأت تذلل لها العقبات التي يمكن أن تقابلها سواء من النواحي المادية أو المعنوية ..
شعرت سيدرا بالحماسة وتأثرت بحديث السيدة ابتسام الهام ، وتملكتها الرغبة في أن تلتحق بالجامعة .. وتشجعت للفكرة كثيراً ، وأبدت استعدادها التام لتحقيق ذلك الحلم ..
....
في تلك الأثناء بحث سليم عن زوجته سيدرا في كل مكان توقع أن تذهب هي إليه ، حتى أنه سافر إلى ضيعتها وقابل أفراد عائلتها ولكن للأسف لم يعرفوا عنها أي شيء .. و تشاجروا معه ، وحملوه مسئولية هروبها ، و...
-الجدة مريام بنبرة غاضبة : أضعت ابنتنا بعد أن استئمناك عليها
-سيلين بنبرة حزينة : أين أختي ؟ أنا أريدها
-الجد حمدان بصوت هادر : هل هذا كان اتفاقنا ؟
-ريحانة بنبرة باكية ، وأعين براقة : أريد ابنتي ، أريد سيدرا ، أين أخذتها ؟
حاول سليم أن يبرر لهم موقفه ، ولكنهم تحاملوا عليه كثيراً ، و..
-الجد حمدان بنبرة متوعدة وهو يشير بيده : لن أدعك في شأنك ، بل سأشتكي عليك في المخفر ، لن أتركك تهنأ للحظة !

أطـرق هو رأسه للأسفل في ندم شديد ، ولم يجب عليه ، فهو متيقن أن أفراد عائلتها أكثر الناس حرصاً عليها ، وهو لم يكن مثلهم في اهتمامه بها أو حتى في رعايته لها ، بل كان فظاً غليظاً معها ، وفوق كل هذا اعتدى عليها بلا رحمة ، ولم يستطع إلى الآن أن يمحي تلك الذكرى الأليمة من ذاكرتها ..

مسحت ريحانة دموعها بكف يدها ، واتجهت ناحية سليم ، ثم رفعت يدها عالياً في الهواء لتهوي بها على وجهه وتصفعه بقوة و...

-ريحانة بنبرة متشنجة ، وبنظرات قاسية : اخرج من هنا ولا تعد أبداً ، وابنتي لن أتخلى عنها وسأبحث عنها في كل مكان

تحمل سليم آلم الصفعة ، وكور قبضته في ضيق ، ولكنه أثر الصمت ، ثم انصـرف خـارج منزلهم العتيق بخطوات راكضة ..

أمسكت الصغيرة سيلين بطرف عباءة والدتها وقامت بجذبه للأسفل وهي تنظر إليها بنظرات دامعة و...

-سيلين بنبرة طفولية حزينة : أمي أين سيدرا ؟

التفتت إليها ريحانة ، ووضعت يدها على رأسها ، ومسدت برفق على شعرها و...

-ريحانة بنبرة قوية : اختك ستعود ، وسأبحث أنا عنها ..

-الجد حمدان بنبرة جـادة : وأنا لن أتركك تبحثين عنها بمفردك ، أنا معك ريحانة

حاول الجد حمدان ومعه ابنته ريحانة البحث عن سيدرا في كل مكان كان من المتوقع أن تذهب إليه ، ولكن كان مسعاهما دون جدوى .. فقد انقطعت الأخبار تماماً عنها ، ولم يعرف أي أحد وجهتها ...

....

طلبت السيدة ابتسام من ابنها هيثم أن

يتقدم بطلب لسيدرا لكي تلتحق بالجامعة ، فتحمس هو لتلك الفكرة كثيراً ، وقرر أن يدعم والدته في طلبها هذا ويتكفل بكل ما تحتاج هي إليه ، ولكن رفضت سيدرا أن تكون عبئاً عليهما أكثر من هذا ، وطلبت منه أن يدبر لها عملاً لتتربح منه وتنفق به على نفسها .. فوعدها أن يجد لها ما يناسبها.

....

كانت سيدرا مترددة في التواصل مع عائلتها ، ولكنها خشيت أن يصل إليها سليم إن عرف منهم طريقها ، لذا فضلت أن تختفي عن أعين الجميع حتى تطمئن على استقرار أوضاعها ، بالإضافة إلى مرور وقت كافي على انتهاء عقد الزواج ، ومن ثم تضمن عدم استطاعته الظفر بها مجدداً ...

وبالفعل بعد عدة أيام كان هيثم قد تدبر لها عملاً في مطبعة أحد معارفه ، بالإضافة إلى تقديم أوراقها للالتحاق بكلية الحقوق ، فسعدت هي كثيراً بتلك الخطوة الهامة في حياتها ، وبدأت ترتب حياتها من جديد ، وتستعيد ثقتها بنفسها ...

....

اضطر سليم أن يسافر مع والده إلى الخارج بسبب إجرائه لجراحة عاجلة ، فهو لن يتخلى عنه في مثل تلك الظروف ، ورغم عدم قدرته على البحث عن سيدرا إلا أنه حاول أن يكلف من يتولى تلك المهمة عنه ريثما تنتهي رحلة علاج والده السيد خالد ليستأنف هو بحثه الدؤوب عنها ...

....

ساءت أوضاع السيدة كوثر مع زوجها الحالي كثيراً والذي اكتشف مصادفة خداعها له ، واستغلالها السيء لسمعته ، فقرر أن يتخلى عنها ، كما تعثرت أوضاعها المادية بعد أن خسرت أموالاً طائلة في صفقات غير مضمونة مما انعكس عليها

بدرجة كبيرة ، وبدأ الملتفون حولها في النقصان تدريجياً ..
وحاولت هي أن تستعيد ثقتها بزوجها مجدداً ، ولكنه حسم أمره بالانفصال نهائياً عنها ..

....

مــر شهرين ، واندمجت سيدرا بسلاسة في دراستها التي أحبتها ، كما اجتهدت في عملها بالمطبعة كثيراً ، وأثبتت جدارتها فيه ، وحاولت بكل الطرق أن تشغل وقتها حتى لا يكون أمامها أي فرصة للتفكير في حياتها الماضية ، خاصة أنها تدرك مشاعرها الحقيقية تجاه سليم ، فهي بكل ما أوتيت من عزيمة تحاول مقاومة رغبتها في إعطائه المغفرة .. فقد قضت ليالي وهي تتذكر كل ما مرت به معه ، ودائماً ما كان يتردد في آذانها توسلاته ورجائه لها بالسماح كانت تخشى أن تحن هي إليه ، أن تضعف مجدداً أمامه، فقد كانت قاب قوسين أو أدنى من أن تسامحه ، ولكنها دائماً تذكر نفسها بأنه المغتصب الشرس الذي أرادها ليدمرها ، ليكسر إرادتها ، ويحنيها للأبد .. وها هي اليوم تقف على أعتاب مستقبلها المشرق ..
لم تنكر سيدرا أنها كانت تحن إلى ذكريات ماضيها القريب ، تشتاق لكل فرد من عائلتها ، ولكنها تخاف أن ينهار ما بدأته إذا ما استسلمت لرغبتها في رؤيتهم ..
كما أتيحت فرصة أخرى لها لكي تتلقى التدريب في أحد مكاتب المحاماة الشهيرة بعد وساطة من والدة هيثم السيدة ابتسام لصاحب المكتب الأستاذ رائف و الذي كان على صلة قرابة بها ، فرحب بوجودها ، وأعطاها الفرصة لكي تتلمذ وتتعلم على يده وأيضاً على أيادي زملائه في المكتب .. فاستثمرت سيدرا تلك الفرصة ، وبدأت تثقل مهارتها بطريقة أكثر احترافية ....

....

ذات ليلة ، صعدت إحدى الخادمات إلى غرفة السيدة كوثر بالقصر لكي تقدم لها طعام العشاء ، فطرقت الباب عدة مرات ، ولكنها لم تتلق أي استجابة منها فأمسكت بالمقبض وقررت أن تفتح الباب دون أن تنتظر ردها .. وما إن فتحت الباب حتى تفاجئت الخادمة بسيدتها ملاقاة على فراشها ، والدماء تنزف بغزارة من رسغها ولوثت ملاءتها الوردية بلون الدمـاء القاتم .. فشهقت بصراخ و...

-الخادمة بنبرة فزعة وعالية : كوثر هانم !

تجمع باقي الخدم ومدبرة المنزل على إثر صراخ الخادمة الهـادر ، وتفاجئوا هم أيضاً بإنتحارها .. ثم ركضت مدبرة المنزل نحوها لتتفقد أنفاسها ، ولكنها كانت زائغة البصر .. لا حياة في أوردتها .. بينما أسرع خـادم أخـر في الاتصال بالمخفر ليستدعي الشرطة ليبلغهم بما حدث ، ويتولى أفراد الشرطة مهمة ابلاغ باقي أفراد عائلتها..!

انتهى الفصل

روايات قصيرة تصدر حصرياً عن قلوب أحلام

منتديات رواياتي الثقافية

الفصل الحادي عشر



تلقى سليم اتصالاً هاتفياً من أحد معارفه يبلغه فيها بإنتحـار والدته ، فتملكه الحزن وسيطر عليه الغضب كثيراً ، فهو لم يتخيل أن تفعل السيدة كوثر هذا ، ثم جلس يبكي على مقعده بمرارة ، فرغم كل ما فعلت هي مازالت والدته التي يكن لها الحب والاحترام .. ثم مسح دموعه ، وقام بجمع جزءاً من متعلقاته الشخصية ، وتوجه إلى والده في المشفى الخاص الذي يستأنف فيه باقي علاجه ليخبره بمسألة وفاة والدته ، فتأسف السيد خالد على حالها كثيراً ، وترحم عليها ، وأوصى ابنه بالعودة إلى هناك حتى ينتهي من إجراءات دفنها وتلقي واجب العزاء فيها ..

لم يترك سليم والده بمفرده ، بل عيّن له ممرضة خاصة تتابع حالته الصحية على مدار اليوم ، بالإضافة إلى طاقم التمريض الخاص به بالمشفى ...

ثم توجه هو عائداً إلى قصره الفخم والذي خيم الحزن عليه بدرجة واضحة ..
كان في استقباله زوج والدته الأسبق ، وكذلك مدبرة المنزل وبعض الخدم ، وقلة قليلة من رفاقها الذين ظلوا إلى جوارها حتى أخـر وقت .. لم يتخيل هو أن والدته ستفعل هذا بنفسها ، ولم يتوقع أن يكون حالها قد ساء كثيراً خلال فترة غيابه ..
طلب زوج السيدة كوثر من سليم أن يرافقه إلى مكتب المحامي الخاص به من أجل فتح وصية أمه الراحلة ، ولكنه أثر التأجيل لعدة أيام ريثما يتقبل فكرة رحيلها ويعتاد على غيابها ، بالإضافة إلى توفيق أوضاعها المادية ؛ خاصة وأن قد علم بأمر ديونها المتراكمة ..

....

عـاد السيد خـالد من الخارج بعد رحلة طويلة من العلاج ، واستقر في قصره بعد أن

قام بسداد الدين الخاص به حتى لا يُباع في المزاد العلني ..
سعدت المربية سوسن بتحسن حالته كثيراً، وتملكتها الفرحة حينما رأته يستعيد عافيته ، ويتجاوب مع الجميع ..
ثم طلب منها السيد خـالد أن تلقاه في غرفة المكتب ليتحدث معها في أمـر هام ..
كانت تخشى في البداية أن تلتقي به حتى لا تثير الشكوك حولهما ، ولكنها الآن لم تعد تهتم ، فوجودها بقربه هو الأهم بالنسبة لها ..
دلفت المربية سوسن إلى داخل غرفة المكتب بعد أن طرقت على الباب أولاً ، ثم أسندت الصينية التي تحملها في يدها على سطح المكتب ، ومن ثم أمسكت بفنجان القهوة ، ومدت به يدها نحو السيد خـالد الذي نظر لها في امتنان ، و...
-خالد بصوت رخيم : اجلسي سوسن

-سوسن بخفوت ونظرات مجفلة: هذا لا يصح!
-خالد بنبرة شبه آمرة: سوسن! أنتِ زوجتي ولستِ خادمتي، فرجاءاً اجلسي كي نتحدث سوياً.
اضطرت المربية سوسن أن تجلس على المقعد المقابل له ، ونظرت إليه بنظرات مليئة بالحنو و...
-سوسن بنبرةٍ هادئة : ماذا تريد سيدي ؟
-خالد بخفوت : أنا لستُ سيدك ، أنا زوجك ، حبيبتي.
-سوسن بتوجس : ولكن آآ..
-خالد مقاطعاً بجدية : أريد أن أصحح الوضع الآن ، فلم يعد بإمكاني أن أخفي الأمر أكثر من هذا
-سوسن بنبرة متوترة : ولكن هذا سيتسبب في مشاكل جمة ، وسليم لن يتقبل الأمر بسهولة ، أرجوك تغاضى عن هذا الأمر
-خالد بنبرة صارمة وهو يشير بيده : لقد حسمت أمري ، وحينما يعود سليم من الخارج سأبلغه بأمر زواجنا
-سوسن بنبرة أكثر توتراً : أرجوك ، ليس الآن ، ربما .. ربما هذا سيجعله يبغضني وآآ...
-خالد مقاطعاً بنبرة حازمة : سوسن أنتِ زوجتي لسنوات ، لستُ عشيقتي أو عاهرةٍ ما .. ولابد للكل أن يعرف هويتك.
ألحت المربية سوسن على السيد خالد كثيراً لكي يتراجع عما ينتوي فعله ، ولكنه رفض الإصغاء إليها ، وأمرها بألا تدخل فقد قضي الأمــر ....

....

صف سليم سيارته في الجراج الملحق بالقصر ، ثم ترجل منها ، وســار بخطوات بطيئة نحو ردهته ، ثم أكمل سيره ناحية الدرابزون ليصعد عليه ، ولكنه توقف عن الحركة حينما سمع صوت والده يأتيه من الخلف بـ ...
-خالد بنبرة عالية : سليم .. تعالى ، أريدك

في أمر هام.
استدار هو بجسده في اتجاه والده المرابط على باب غرفة المكتب ، ثم عاود أدراجه ناحيته ، ودلف إلى داخل الغرفة ..
جلس سليم على الأريكة العريضة الموجودة في أحد أركان الغرفة ، وجلس إلى جواره والده الذي وضع يده على فخذه ليربت عليه في حنو أبوي ، ثم ..
-خالد بنبرة عميقة : كيف حال العمل معك بني ؟
-سليم وهو يتنهد في ارهاق : على ما يرام أبي
-خالد بنبرة شبه متلعثمة : كنت .. كنت أريد الحديث معك في مسألة هامة
-سليم باستغراب وهو قاطب لجبينه : ما الأمر أبي ؟ هل هناك شيء ما يؤلمك ؟
-خالد بنبرة هادئة : أنا بخير بُني ، لا تقلق ولكني آآ...
-سليم بنبرة مهتمة : ما الأمر إذاً يا أبي ؟

أخذ السيد خـــالد نفساً عميقاً ، ثم زفره على مهل ، ونظر إلى ابنه بنظرات ثابتة و..
-خالد بنبرة جـادة: بني.. لقد أخفيتُ عنك أمر ما ، ولكن آن الآوان لكي تعرف عنه
-سليم بنظرات مترقبة ، ونبرة متوجسة : ماذا هناك ؟
-خالد بهدوء حذر : لقد ... لقد تزوجت منذ عدة سنوات .. و.. ورفضت الافصاح عن ذلك الأمر حتى لا تحزن
أطرق سليم رأسه في ضيق ، ولكنه لم ينفعل ، بل ظلت ملامح وجهه إلى حد ما جامدة وخالية من التعبيرات ، في حين لم يكف خالد عن متابعة ابنه عن كثب و..
-خالد متسائلاً بتوجس : لماذا لا أرى منك أي اعتراض أو آآ..
-سليم مقاطعاً بنبرة حزينة : كنت أتوقع هذا أبي ، ولكني كنت أتعجب من صمتك الطويل عن تلك المسألة

-خالد بنبرة نادمة : كنت أخشى عليك بني ، كنت أخاف أن تغضب حينما تعلم أني قد تزوجت مجدداً وتبتعد عني
-سليم بنبرة متهكمة : وهل غضبت حينما تزوجت أمي ؟ وهل حتى تركتها ؟؟ بل على العكس لقد كنت دائم الصلة بها.
أطرق خـالد هو الأخـر رأسه في ندم ، وظل ينظر إلى أصابع يده الموضوعة على حجره ، في حين رفع سليم رأسه للأعلى وتابع والده...
-سليم متسائلاً بخفوت : ومن هي زوجتك
-خالد بنبرة متلعثمة وهو مطرق لرأسه :
آ..انها .. انها سوسن
ضيق سليم عينيه ، وعقد حاجبيه للأعلى ، وارتسمت علامات الدهشة على وجهه و...
سليم بنبرة مصدومة: أتقصد مربيتي سوسن؟
-خالد وهو يومىء برأسه بتوجس : بلى
مط سليم شفتيه في صدمة ، ثم وضع يده على رأسه ليحكها ، و..

-سليم مبتسماً في استخفاف : لم يأتِ ببالي قط أن تكون سوسن هي زوجتك
-خالد متسائلاً بحذر ، وبنظرات زائغة : هل .. هل أنت غاضب ؟
-سليم بإقتضاب : لا .. فهذه هي حياتك ، وأنت حر في اختياراتك
حـاول السيد خـالد أن يبرر لابنه سبب زيجته من المربية سوسن ، وأنه وجد فيها الزوجة الوفية المخلصة على مدار السنون حينما كان يعاني الأمرين مع زوجته الأولى السيدة كوثر والتي لم تدخر وسعها في تلقينه آقسى ألوان العذاب والمعاناة بعلاقاتها المتعددة وكذبها المستمر ، كما أشار أيضاً إلى كون المربية سوسن زوجة صبورة تحملت ما لا يمكن أن يتحمله أي أحد في سبيل اسعاد زوجها وابنه الوحيد ، وأثرت أن تكون خفية لا وجود لها حتى لا تتسبب في المزيد من الأحزان والآلام لغيرها ..

تأثر سليم كثيراً بما قاله والده ، فقد غفل عن الكثير من الحقائق ، وتحامل عليه كثيراً ، وظل لسنوات طويلة يلقي باللوم عليه ، ويتهمه بأنه من تسبب في هدم كيان الأسرة ، ولكن للأسف كان كل هذا مجرد أوهام كاذبة .. فالمذنب الأول والأخير هو والدته ..
ثم نهض عن الأريكة ، وتوجه إلى خارج غرفة المكتب ، فوجد المربية سوسن تقف بجوار مديرة المنزل يتحدثان بخفوت عن أمر ما ، فأشار للمديرة بعينيه لكي تنصرف ، ثم توجه ناحية المربية التي كانت تبتلع ريقها في ترقب ، و..
-سليم بنبرة شبه منزعجة : لماذا لم تخبريني بأمر زواجك من أبي
-سوسن بنبرة خائفة ومرتبكة وهي مجفلة لعينيها : لقد ... لقد كنت .. آآ
-سليم مبتسماً في هدوء : أظن أنه من الأفضل أن يعرف الجميع بهذا الأمر لكي نصحح ذلك الوضع الخاطيء.
فغرت المربية سوسن شفتيها في صدمة ، وحدقت فيه بأعين متسعة و...
-سوسن بنبرة مشدوهة : مـ... ماذا ؟
-سليم بنفس الثبات الانفعالي : لقد أخبرني أبي بزواجكما ، وأنا أظن أنه قد أحسن الاختيار بجعلك زوجته
-سوسن بنبرة مصدومة : هل أخبرك ؟
مد سليم يده لكي يصافحها ، ثم رمقها بنظرات ممتنة و...
-سليم بهدوء : شكراً لك على كل ما فعلتِ من أجلي ومن أجل أبي .. شكراً لكِ زوجة أبي الغالية.
ثم رفع كف يدها ناحية فمه ليقبله في إطراء ، ومن ثم تركه وانصرف مبتعداً عنها.
تسمرت هي في مكانها غير مصدقة ما سمعته تواً ، والتفتت بعينيها في اتجاه غرفة

المكتب لتجد السيد خالد واقفاً أمام الباب يرمقها بنظرات رومانسية وهو يهز رأسه لها .. لأول مرة منذ سنوات تتنهد المربية سوسن في ارتياح ، فقد أزيح ثقلاً كبيراً عن صدرها ، وها قد بات سليم يعرف حقيقة زواجها من أبيه ، ولم يعد هناك ما تخشاه ...

....

قبيل إمتحانات نهاية العام الدراسي ، طلبت سيدرا من الأستاذ رائف أن يعطيها أجازة من أعمال المكتب حتى تتمكن من استذكار محاضرتها بتركيز ، فوافق هو على طلبها ، بل إنه أمرها بالذهاب إلى مكتبه وأخذ ما تحتاج إليه من الكتب القانونية والمراجع من أجل تسهيل المهمة عليها .. فسعدت هي كثيراً بإقتراحه ، وقررت قبل أن تغادر عملها أن تتوجه إلى مكتبه ، وتستعير بعض الكتب الهامة بالنسبة إليها ..

....

بعد إلحاح من زوج السيدة كوثر ، وافق سليم على الذهاب معه إلى مكتب المحامي من أجل فتح وصيتها والإطلاع على ما فيها ، خاصة وأنه قد مر عدة أشهر دون أن يهتم هو بما أوصت به والدته ....

وبالفعل توجه كلاهما إلى مكتبه بعد أن تم تحديد موعد للمقابلة ..

....

في نفس التوقيت كانت سيدرا متواجدة بداخل مكتب الأستاذ رائف ، وواقفة على مقعد خشبي، ومستندة بذراعها على أحد الأرفف الخاصة بمكتبته القانونية الضخمة ، وممسكة في يدها الأخرى بورقة بيضاء مدون عليها أسماء بعض الكتب الهامة أثرت سيدرا أن ترتدي في هذا اليوم فستاناً كلاسيكياً بسيطاً في نقشاته من اللون الرمادي ، يصل إلى ما بعد ركبتيها بقليل ، صدره مغلق ، ولكنه يبرز عنقها بالكامل ،

أما أكتافه فهي تصل إلى منتصف عضدها .. وكان خصره إلى حد ما ضيق يبرز تفاصيل جسدها الممشوق ، وكما كان حول خصرها حزام جلدي أسود عريض .. وضعت هي قرطين في أذنيها من اللون الفضي ، وعقصت شعرها كحكة للخلف بمشبك بلاستيكي من نفس لون القرطين .. فبدت أكثر جدية ورزانة ..

كانت سيدرا تقوم بجمع الكتب المطلوبة على رف قريب ، ثم تعاود رصهم فوق بعضهم البعض ككومة واحدة بعدما تنتقي المناسب والأفضل منهم بالنسبة لها ..

ثم سمعت صوت السكرتيرة من الخارج يرحب ببعض العملاء وتدعوهم للدخول إلى المكتب والانتظار فيه ريثما يأتي السيد رائف .. فحاولت هي أن تنجز عملها قبل أن يدلف الجميع للداخل... ولكن كانت المفاجأة بالنسبة لها حينما سمعت ذلك الصوت العميق الذي تألفه ..

انتبهت كافة حواسها إليه ، وشعرت بخفقان قلبها بقوة ، وبصدرها يعلو ويهبط من تلاحق أنفاسها المضطربة ..

-سيدرا لنفسها بنبرة مصدومة : غير معقول ، لا يمكن أن يكون هو ...!!!

....

فُتح باب المكتب ، ودلف سليم إلى الداخل بعد أن أشارت له السكرتيرة بمكان جلوسه ، ثم تبعه زوج والدته الراحل ، ولكنه استأذن من أجل الذهاب إلى المرحاض ، وتركه بمفرده ..

اختبأت سيدرا خلف المكتبة ، وحبست أنفاسها حتى لا ينتبه هو إليها ..

جاب سليم بطرف عينه أنحاء غرفة المكتب ، وظل يتأمل محتوياتها وهو يخبط بأطراف أصابعه على سطح المكتب الزجاجي .. ثم لفت انتباهه باب المكتبة

-والتي كانت توجد في أحد أركان الغرفة البعيدة- حيث وجد ذلك الباب مفتوحاً ويهتز بحركة لا إرادية محدثاً صريراً مزعجاً إلى حد ما .. فقرر أن ينهض من على المقعد الجلدي ، ويتوجه ناحية المكتبة ليوصد بابها هذا ..

شعرت سيدرا بوقع خطوات ثابتة تزداد حدتها تدريجياً ، فأيقنت أن هناك من يقترب من المكتبة ، فحاولت أن تخفي جسدها قدر الإمكان حتى لا يلمحه أي أحد - وخاصة سليم - إن اقترب من المكتبة ونظر بعينيه ناحية جانبها ، فهو سيجدها لا محالة إن دقق النظر..

ازداد اضطراب أنفاسها ، وتعالت دقات قلبها أكثر خاصة حينما شعرت باقتراب سليم منها ..

توقف هو أمام باب المكتبة ، وكان على وشك إغلاقه ، ولكن لفت نظره بعض الكتب المتراصة بطريقة غريبة ، فأمسك بأحدهم وبدأ في قراءة عنوانه بخفوت ، ثم أولى ظهره للمكتبة ، وبدأ يسير مبتعداً عنها..

كانت سيدرا قادرة على رؤية ظل سليم ، وحاولت أن تنكمش على نفسها حتى لا يراها إن تراجع خطوتين للخلف ..

ولكن ما لم تضعه في الحسبان أن تتسرب إلى جسدها برودة مفاجأة مما جعل أنفها قاب قوسين أو أدنى من العطس ..

حاولت جاهدة أن تقاوم رغبتها تلك ، ولكنها عجزت ، ورغم أنها عطست بخفوت ، إلا أن هذا الصوت الضعيف قد أيقظ حواس سليم وجعله يلتفت للخلف باحثاً عن مصدر الصوت ...

سار سليم بضعة خطوات للخلف في اتجاه المكتبة بعد أن كان قد ابتعد ، ثم لمح خيال ما يتحرك من الجانب ، فضيق عينيه

أكثر ، وقرر أن يرى ما الذي يوجد هناك .. كانت المفاجأة الشديدة بالنسبة له حينما وجد من أحبها بجنون تقف منكمشة ومستندة على جانب المكتبة محاولة الاختباء منه ..

رمش سليم لعدة مرات ليتأكد من أنه لا يتوهم ما تراه عينيه ، ثم لفظ اسمها بعذوبة ساحرة و...

-سليم بنبرة رخيمة وآسرة : سيدرا ...!

بينما كانت هي مغمضة لعينيها ، وكاتمة لأنفاسها محاولة مقاومة صوته الآخاذ ، ولكنها فتحتهما فجأة حينما وجدت أطراف أصابع تتحسس وجنتها ...

رأت سيدرا سليم محدقاً بها ، وينظر إليها بنظرات عاشقة ممزوجة بالعتاب .. فطرفت بعينيها لأكثر من مرة .. وابتلعت ريقها الذي جف في ارتباك شديد ، ثم حاولت أن تستجمع شجاعتها الهاربة منها ، وتفر من أمامه ، ولكنها لم تستطع ، فقد اقترب هو منها بدرجة كبيرة ، ومد كلا ذراعيه ليحاصرها بينهما و...

-سليم بخفوت ساحر ، ونظرات مشتاقة : إلى أين ؟

-سيدرا بتلعثم وهي ترمش بغزارة : آآ.. ابتعد عني...

هز سليم رأسه نافياً ، ثم انحنى برأسه عليها أكثر و...

-سليم بنبرة أقرب للهمس وهو مسبل عينيه : كيف أبتعد عن زوجتي؟

حاولت هي أن تبتعد برأسها بعيداً عنه ، ثم أغمضت عينيها ، و...

-سيدرا بنبرة مرتبكة وصدرها يعلو ويهبط : لم أعد زوجتك ، فقد انتهى عقد زواجنا منذ مدة ، أم أنك تدعي النسيان.

ثم وضعت كلتا يديها على صدره لتدفعه للخلف ، ولكنه أمسك بهما بقبضتي يده ،

وثبت جسدها على جدار المكتبة الجانبي و...

-سليم بصوت رخيم ، ونظرات متفحصة : لم أنساكِ يوماً حبيبتي .. ولم أنهي عقد زواجنا أبداً ، فأنتِ مازلتِ زوجتي

-سيدرا بنظرات مصدومة ، ونبرة متفاجئة : م... ماذا تقول ؟

-سليم بنبرة واثقة ، ونظرات أكثر تفحصاً : أقول أنكِ مازلتِ زوجتي ، ولن أدعك تهربين مني.

-سيدرا بنبرة غاضبة ، ونظرات مشتعلة : هذا كذب ، فأنا تزوجتك لمدة محددة ، وقد انتهت تلك المدة منذ فترة طويلة

-سليم مبتسماً في هدوء مستفز : هذا غير صحيح حلوتي ، ألم تعلمي أن زواج المتعة حرام شرعاً وقانوناً ؟

-سيدرا فاغرة شفتيها في ذهول : م... ماذا ؟

-سليم متابعاً بنبرة مغترة : لقد خدعتك حبيبتي ، وأوهمتك أني تزوجتك بشروط ، ولكني لم أكن لأفعل هذا أبداً ، فأنا اعلم جيداً ماذا أريد ، وأنتِ من أريدها ..

-سيدرا بنبرة معاندة ، ونظرات حانقة : ابتعد عني ، أنا لا أريدك

-سليم بنظرات لئيمة ، ونبرة عميقة : انتِ تكذبين.

تلوت هي أمامه محاولة تحرير نفسها ، ولكنها فشلت ، فقد كان محكماً قبضته عليها ، ولم يترك لها المجال لكي تتحرك

-سيدرا وهي تبتلع ريقها في صعوبة : آ.. ماذا تقول ؟

انحنى هو أكثر عليها برأسه ليقلص المسافة بينهما و...

-سليم بنبرة أعمق وهو ينظر لها بعشق : أعلم أنكِ تحبيني مهما قاومتي فعينيكِ الزرقاوتين تفضحكِ حلوتي.

-سيدرا بنبرة متلعثمة : لا شأن لك بهما ،

دعني ، فأنا لن أظل آآ...
لم يترك سليم الفرصة لسيدرا لكي تكمل جملتها ، حيث مال أكثر برأسه عليها ، ثم أطبق على شفتيها بشفتيه ليقبلها برغبة ..في البداية حاولت هي أن تنسل من بين أحضانه ، ولكنها عجزت عن فعل ذلك ، فقد انساقت وراء مشاعرها ، ولم يعد هناك مجالاً للمقاومة ، فظل هو يقبلها بشغف للحظات مطولة ، وذاب كلاهما في الأخر ، وارتشفا الحب من على الشفاه إلى أن أدركا أن كلاهما لا يستطيع الاستغناء عن الأخر ..
ثم أبعد سليم رأسه للخلف ، لينظر إليها بنظرات مشتاقة ومعاتبة وهو محاوط إياها من خصرها بكلا ذراعيه و....
-سليم بنبرة هادئة : لماذا تركتيني وحدي سيدرا ، لماذا هربتي ؟
-سيدرا بخفوت : لأنك ذبحتني ببرود
-سليم بنبرة خافتة وهو يبتلع غصة في حلقه : لقد كنت حقير وأحمق ، الغضب يعميني ، فلم أدرك ما أفعله ، أنا أسف عما ارتكبت في حقك ، لم أهنأ يوماً في بعدك
-سيدرا بنبرة متلعثمة وهي مجفلة لعينيها : دعني ، أنا أستطيع الآن أن ..آآ..
-سليم مقاطعاً بنبرة شبه آمرة : سيدرا لا ترددي هذا الكلام المزعج ، أم أنك تريدين أن أقبلك مجدداً ؟
توترت كل ذرة في كيانها ، وحاولت أن تحرر نفسها من بين ذراعيه ، ولكنه أطبق عليها أكثر و...
-سيدرا بارتباك وقد توردت وجنتيها : م.. ماذا
-سليم بنظرات متفحصة ، وبنبرة لئيمة : أريد أن أنهل الشهد من على شفتيكِ زوجتي ، فأنا لم أشبع بعد منهما ...!!
-سيدرا بارتباك أشد ، وبنظرات حائرة :

اتركني ، فحياتي أفضل بدونك ، وآآ..
-سليم مقاطعاً بنبرة مترثية : سنتعاتب لاحقاً ، ولكن هيا بنا إلى بيتك
رمقته سيدرا بنظرات ضيقة ، وقد عبست ملامح وجهها و...
-سيدرا بحدة : لا ، لن أذهب معك ، فأنا آآ...
انحنى سليم مجدداً على شفتيها ، وقبلها بحرارة أكبر مما جعلها تحلق عالياً في سمــاء العشق ، وتنسى ما حولها ، وتتجاوب معه وتبادله القبلات المشتاقة ..
ثم دلف في تلك اللحظة الأستاذ رائف ومعه السكرتيرة ليتفاجئ كلاهما بسليم وفي أحضانه سيدرا ، فينظرا إليهما بنظرات مذهولة ، وكأن صاعقة ما قد ضربت رأسيهما للتو ..
شعرت سيدرا بالحرج الشديد وحاولت أن تنسل من احضان زوجها ، ولكنه لم يدعها ، بل ظل ضاماً إياها إلى صدره و...

-رائف بنبرة منزعجة : ما الذي يحدث هنا سيدرا ؟
-سليم بهدوء ، ونظرات ثابتة : لا شيء أستاذي الفاضل ، فسيدرا هي زوجتي ، وكنت أقبلها لأني أشتاقها بشدة
-رائف بصدمة أكبر ، ونظرات جاحظة : م... ماذا ؟
أرخــى سليم ذراعيه عن سيدرا ، ووقف إلى جوارها مشدوداً بجسده و...
-سليم متابعاً بنفس الهدوء : كما أخبرتك .. سيدرا هي زوجتي ، وأنا زوجها.
استدار رائف برأسه ناحية سيدرا ، ورمقها بنظرات جــادة و...
-رائف متسائلاً بجدية وهو يشير بإصبعه : هل ما يقوله صحيح ؟
أطرقت سيدرا رأسها في حرج ، بينما اعتلت ابتسامة واثقة زاوية فم سليم و...
-سليم بنبرة جدية : كما أخبرتك ، سيدرا

هي زوجتي ، وبإمكانك أن تتأكد من عقد الزواج ، فأنا دائماً أحمله في حافظة نقودي
ثم وضع سليم يده في جيب بنطاله الخلفي وأخرج منه حافظة جلدية سوداء ، وعبث بمحتوياته لثوانٍ قليلة قبل أن يخرج ورقة مطوية ، ثم مد يده بها وأعطاها للأستاذ رائف الذي تناولها منه وبدأ يقرأ ما كتب بها و...

-رائف بنظرات مصدومة ، ونبرة شبه متعجبة : هذا صحيح ، ولكن .. ولكن لماذا لم تخبريني يا سيدرا بهذا ؟

-سليم بنبرة جادة : لوجود خلافات سابقة بيننا.

-رائف وهو يمط شفتيه : ممم.. لي عتاب مع السيدة ابتسام ، فهي قد أغفلت تلك الجزئية عني

ضيق سليم عينيه ، والتفت إلى سيدرا ، ورمقها بنظرات حائرة و..

-سليم متسائلاً باهتمام : من هي السيدة ابتسام ؟

-سيدرا بخفوت : إنها .. انها والدة صديقك هيثم

اتسعت عيني سليم في ذهول ، وارتفع حاجبيه في اندهاش و..

-سليم بنبرة مصدومة : هيثم ..!!!!

أومأت سيدرا برأسها في خجل ، و...

-سليم بهدوء حذر : هذا معناه أنكِ كنتِ باقية عند والدته ، وهو لم يخبرني بهذا

-سيدرا بخفوت وهي تهز رأسها : بلى ، أنا من طلب منه هذا

-سليم وهو يعض على فمه : سأعاتبه لاحقاً على ما فعله بي ، ولكن الآن أنا أشهد الناس كلها أنكِ مازلتِ زوجتي ، وأني لم أطلقك أبداً كما كنت أزعم من قبل ، وأعدكِ أني سأعوضك عما فات ..

ابتسم الأستاذ رائف ، ثم ..

-رائف بجدية : يمكنك أن تترك العتاب لما بعد ، وهيا بنا لنرى ما الذي كتب في وصية المرحومة والدتك

-سليم بنبرة هادئة وهو يرمق سيدرا بنظرات راغبة : ليس الآن ، فأنا أريد أن أظل لأطول فترة مع زوجتي

-رائف بنبرة ممتعضة : ماذا ؟ ولكن آآ...

-سليم مقاطعاً بجدية وهو يشير بيده : أعتذر عن إزعاجك سيد رائف ، ولكن زوجتي سيدرا هي كل ما يهمني الآن .. أراك لاحقاً!

ثم أمسك هو بكف يد زوجته ، وسحبها خلفه وهو يسير بخطوات راكضة إلى خارج المكتب تاركاً المحامي وسكرتيرته في حالة ذهول شديدة ..

حاولت سيدرا أن تلحق في خطواتها بخطواته الراكضة ، و...

-سيدرا بنبرة لاهثة : تمهل سليم ، فأنا .. فأنا لا أستطيع مجاراتك.

-سليم بنبرة متحمسة ، ونظرات مشتاقة : وأنا أحبك حباً لا حدود له!

ثم توقف سليم عن الركض ، وأحاط زوجته بذراعه من ظهرها ، ثم وضع ذراعه الأخر أسفل ركبتيها بعد أن انحنى بجذعه للأسفل ، وحمل زوجته بخفة بين ذراعيه ، بينما لفت هي ذراعيها حول عنقه ، وسار بها ناحية سيارته المصطفة بالخارج و...

-سليم بنبرة متلهفة ، ونظرات عاشقة : لن أتركك للحظة ، فأنتِ دنيتي ، ومعكِ سأبدأ من جديد

-سيدرا متسائلة بحيرة : إلى أين سنذهب ؟

-سليم بحماس : إلى حيث بدأ كل شيء .. إلى ضيعتنا

فغرت سيدرا شفتيها في تعجب ، وعقدت جبينها في استغراب ، في حين أطرق هو ب ...

-سليم متابعاً بنفس الحماسة : سأطلبك من عائلتك مجدداً ، وأقيم لكِ حفل زفاف لم

تشهده أي عروس من قبل ، وسأسافر بكِ إلى كل الدنيا لأقضي معك أحلى شهر عسل
-سيدرا معترضة : ولكن أنا لدي امتحانات نهاية العام ، ولستُ آآ..
-سليم مقاطعاً باستغراب : هل أنتِ تدرسين ؟
-سيدرا وهي تومىء برأسها ، وبنبرة خافتة : بلى، فبعد عدة سنوات سأصبح محامية شهيرة.
زم سليم شفتيه في إعجـاب ، ثم أنزل زوجته على الأرض لتقف على ساقيها ، وفتح لها باب سيارته الأمامي لتركبها ، و...
-سليم بنبرة واثقة : وأنا سأساعدك لتصبحي أفضل مني في هذا المجـال ، ولنبدأ بمراجعة أول شيء ...
ركبت هي داخل السيارة ، ثم وضع هو لها حزام الأمـان ،وركب هو خلف المقود ، ونظر إليها بنظرات حب ، ثم مد يده ليعدل خصلتها ويضعها خلف أذنها و..

-سيدرا وهي تضيق عينيها ، وبنبرة متعجبة : ماذا تقصد ؟
-سليم مبتسماً في لؤم : توثيق العقود
هزت سيدرا رأسها في عدم فهم ، ونظرت إليه في حيرة و..
-سليم بنبرة عميقة : أي أني سأوثق عقد زواجنا ليصبح فعلياً ، فأنا قد مللت الانتظار ، وأشتاق إليكِ زوجتي كثيراً ..
ثم أدار محرك سيارته لينطلق بها عبر الطرقات بسرعة فائقة ، ويتجه إلى الضيعة التي بدأ منها كل شيء ..
وهناك تفاجئ أفراد عائلة سيدرا بعودتها ، ورحبوا بها كثيراً وانهالوا عليها بالقبلات الحارة والأحضان الدافئة ، ولم يتركوها للحظة ، وحاولوا أن يفهموا منها سر اختفائها ، فأخبرتهم أنها كانت تدرس وتعذر عليها الاتصـال بهم ، فعاتبوها ، ولكنهم لم يغضبوا منها ، فقد كانت هي روحهم النقية

التي عادت مجدداً إليهم
لم تردْ سيدرا أن تخبر عائلتها بما مرت به حتى لا تعكر صفو الجو ، وتعهد سليم في نفسه بعد أن سمع منها ما قالت بألا يكف يوماً عن حبها وتعويضها عما فعل بها ..

....

اتصل سليم برفيقه المقرب هيثم ، وطلب أن يلتقي به في الضيعة لأمـر هام ، ورغم أن الأخير حـاول أن يعتذر له إلا أن سليم لم تقبل عذره ، وأصـر على مجيئه ..
وبالفعل حضر إليه هيثم ، ولكنه تفاجيء بسليم يمسك به من ياقته ويجره جراً إلى داخل البيت الكبير ، ثم ...
-سليم بنبرة ممتعضة ، ونظرات محتقنة :
أأنت من فعل بي هذا ؟
حـاول هيثم أن يتحرر من قبضتي سليم الممسكة به ، و..
-هيثم بنبرة منزعجة : ماذا فعلت ؟ اتركني

-سليم بنبرة حادة : لن أتركك إلا بعد أن أذيقك ألوان العذاب!
-هيثم متسائلاً بضيق : لماذا كل هذا؟
-سليم بنبرة مغتاظة : لقد كنت تعلم بحالتي السيئة بعد هروب سيدرا ، ورغم هذا ظللت صامتاً ، ولم تخبرني عن مكانها
-هيثم بنبرة متلعثمة : آآ.. عن أي شيء تتحدث ؟
-سليم بنبرة محذرة : لا تتحاذق معي هيثم ، فأنا أعلم كل شيء ، سيدرا كانت ماكثة مع أمك ، وأنت كنت تعلم هذا ولم تخبرني
-هيثم هو يبتلع ريقه في توتر : آآ.. لقد .. لقد طلبت مني هذا ، وأنت .. وانت كنت ستؤذيها إن علمت بمكانها
-سليم بنبرة هادرة وعنيفة : هل أنت مجنون؟ كيف يمكنني أن أؤذي زوجتي !!
أزاح هيثم يدي سليم بعيداً عنه ، ثم أولاه ظهره و...

-هيثم بضيق : لقد فعلتها من قبل ، فكيف أضمن ألا تكرر هذا الأمر مجدداً ؟!
زم سليم شفتيه في تبرم ، فقد أصاب رفيقه فيما قاله ، فهو قد تعرض لها من قبل ، فكيف يمكن أن يثق به من جديد ...
ثم دار حول رفيقه حتى وقف قبالته و...
-سليم بنبرة معاتبة : ولكن كان عليك أن تخبرني ، ألم ترَ حالتي البائسة ؟
-هيثم بنبرة ممتعضة : كنت أود كثيراً أن أبلغك بهذا ، ولكن سيدرا أخذت عليّ العهد ألا أبلغ أي أحد عن مكانها
-سليم وهو يزفر في انزعاج : وأنت قد وفيت بوعدك لها
-هيثم بإيجاز : بلى ..
ثم صمت هيثم للحظات قبل أن يردف بـ ...
-هيثم متابعاً بجدية: ولكن أظنها أخبرتك بما فعلته من أجلها
-سليم بهدوء حذر : بلى .. وأنا شاكر لك على أفعالك رغم انزعاجي منك
-هيثم بنبرة شبه هادئة : تجاوز عن هذا سليم ، واستعد للأفضل
-سليم بنبرة حازمة : وهذا ما سأفعله ، لن أقف عند الماضي كثيراً ، وسأبدأ حياتي من جديد مع سيدرا حبيبتي
-هيثم بنبرة محذرة : إياك أن تؤذيها سليم
-سليم بنبرة جادة : أقسم لك هيثم أني لن أجعلها تعاني أبداً ، فهي غاليتي ، وحبيبتي قبل أن تكون زوجتي ، وسأعوضها عما فات.

....

وبالفعل طوال الأيام اللاحقة تذوقت سيدرا طعم الحب النقي من زوجها وحبيبها سليم الذي كان فارس أحلامها بحق ، وأنساها كل ما مرت به من أحزان وآلام .. لقد أوفى هو بوعوده لها ، و أقام حفل زفاف كبير لها في وسط الضيعة ، وحضر إليه جميع أهلها ، بالإضافة إلى والده السيد خالد ومربيته

سوسن ، وكذلك السيدة ابتسام ورفيقه هيثم ..
كانت ليلة مميزة بحق ، استمتع فيها الجميع بأجواء الحفل المبهجة إلى أن حانت لحظة عودة سليم مع زوجته إلى بيتهما ..
انتفضت سيدرا فزعاً بفستانها الأبيض وهي تقترب من ذلك البيت ، فإلى الآن لم يمحَ من عقلها الذكرى الآليمة الخاصة بإغتصابها.
بدأ قلبها يخفق بشدة وهي تصعد الدرجات ، ثم وضعت يدها على صدرها محاولة تهدئة نفسها ، فوضع سليم يده على كتفها و..
-سليم بخفوت : اهدئي حبيبتي ، فكل شيء سيصبح على ما يرام
أمسك سليم بكف يد زوجته ، ثم رفعه إلى فمه وقبله بحنو ، وسار بها ناحية الردهة ..
توقف هو عن الحركة ، واستدار بجسده ناحيتها ليقف قبالتها ، ثم وضع كلتا يديه على وجهها ، وأحاط به ، و...

-سليم بخفوت وهو ينظر إليها بنظرات آسفة : أعتذر لكِ حبيبتي ، فمن هنا بدأ كل شيء ، ولكني أعدك أني سأمحي تلك الذكرى للأبد.
ثم جثى سليم على ركبته ، وأمسك مجدداً بكف زوجته ، ورفع بصره ناحيتها و...
-سليم بنبرة هادئة ورخيمة : سيدرا ، هلا غفرتِ لي خطيئتي ؟
أطرقت سيدرا رأسها ، واجفلت بصرها ، وحاولت أن تقاوم توترها الممزوج بخوفها و...
-سيدرا بنبرة مرتبكة : أنا ...
-سليم مقاطعاً بنبرة نادمة : أنا أسف حبيبتي ، اعلم أني كنت حقير ، مجرم ، ولكني أعشقك ، أنا أحبك سيدرا ، هل تسامحيني ؟ أقسم لكِ أني لن أقترب منكِ أو ألمسك ما لم تغفري لي جُرمي.
ارتعش جسد سيدرا عقب عباراته الأخيرة ، فقد شعرت بصدق كلماته ، وبنيته الصادقة

في تنفيذ وعوده مهما كلفه الأمـر .. لذا أخذت هي نفساً مطولاً لتهديء من روعها ، و...

-سيدرا بنبرة متوترة : آآ.. حسناً

-سليم بنظرات ثابتة ، ونبرة متلهفة : هل هذا معناه أنكِ سامحتيني ؟

-سيدرا بنبرة هامسة وهي تومىء برأسها: أهـا

هنا نهض سليم من على الأرض ، ووقف أمام زوجته وعلى وجهه علامات الفرحة جلية ، ثم انحنى على جبينها ليقبلها منه ، و...

-سليم بنبرة هامسة متلهفة : أحبك بكل جوارحي غاليتي

ثم وضع كلا ذراعيه أسفل خصرها ليحاوطها منه ، وحملها للأعلى قليلاً ، ودار بها حول الغرفة عدة مرات والفرحة لا تسعه .. بينما ارتسمت ابتسامة خجلة على وجهها ، واستندت هي بكفي يدها على كتفه ، وأغمضت عينيها في سعادة وهي تدور معه في

الغرفة ...

أنزلها سليم بهدوء ، ثم سـار بها بخطوات متمهلة وهو ينظر إليها بحب نحو غرفتهما حيث السعادة الأبدية التي كانت في انتظارهما بعد أشهر من الآسى و المعاناة ..

-سيدرا متسائلة بنبرة عذبة : هل تذكر أول لقاء بيننا سليم ؟

-سليم مبتسماً في هدوء : بلى .. وهل يمكنني أن أفعل غير هذا ؟

-سيدرا بنبرة رقيقة : لقد كنت فظاً للغاية معي.

-سليم مبتسماً في ثقة : بل كنت لا أرى سواكِ ، أنتِ وفستانك الأرجواني

-سيدراً متسائلة وهي تعقد حاجبيها في استغراب ، وبنبرة مذهولة : أنت مازلت تذكره ؟

-سليم وهو يومىء برأسه ، وبنبرة رخيمة : بلى .. أذكره جيداً ، فهو ذلك الفستان

الذي جئت به أيضاً يوم تزوجتك.
فغرت سيدرا شفتيها في اندهاش أكبر ، ونظرت إليه بعينيها الزرقاوتين ، في حين تابع هو بـ..
-سليم بنبرة خافتة ، ونظرات ساحرة : أنا لم أغفل عن أي شيء يخصك للحظة زوجتي ، فأنتِ جنتي المنشودة ، فحبك سيدرا .. هو حب سرمدي .....!
ثم انحنى سليم برأسه مجدداً على رأسها ، ليقترب من شفتيها ، ويقبلهما بحرارة أكبر عن ذي قبل ، في حين انساقت هي وراء تيار مشاعرها الجارف ، وأغدقت عليه بحبها الذي اشتعلت جذوته بوجودها في أحضانه ...
أبعد سليم رأسه عنها ، ثم مد يده ليمسك بكفها الرقيق ، ورفعه إلى فمه ، وقبله بحنان شديد ، وهو ينظر إليها بعينيه العاشقتين ..
فالحب في عينيه كان ... سـيدرا .... ❤

تمت بحمد الله
روايات قصيرة تصدر حصرياً عن قلوب أحلام